SAR

- منطقة الجزيرة: «نموذج للتعايش والسلم الأهلي»
- طاعون واحد خير من حريتين
- الزواج في ظلّ الأزمة: الظروف والعوائق

1
نيسان ٢٠١٤

كاميرا: رودي سعيد

الفهرس

شار تخطو خطوتها الأولى 01

التضخّم «أسبابه وتأثيراته على المواطن في منطقة الجزيرة» 02

الوعي المدني وضروراته 05

منطقة الجزيرة: «نموذج للعيش والسلم الأهلي» 08

تربه سبي مدينةٌ تُقرعُ فيها الأجراس 10

السلم الأهلي منهج لتعايش للسوريين 12

العمالة السورية في إقليم كردستان العراق 13

شار تحاور الإعلامية الشابة منال محمد 14

طاعون واحد خير من حريتين 16

انطباعات الطريد 18

الشعر الكردي الحديث، ثورة اللغة والتراث 19

أحصنة النائمين بعين مفتوحة 20

Facebook 21

وطنٌ بِحجم صالون حِلاقة 22

الزواج في ظلّ الأزمة: الظروف والعوائق 24

فعاليات مدنية 27

المشهد 28

شهرية ثقافية تهتم بقضايا التعايش والسلم الأهلي والشأن المدني المرافق للنزاع

لإرسال المساهمات و الاقتراحات و التواصل

info@shar-magazine.com

المقالات تعبر عن آراء أصحابها وتقوم شار بنشرها التزاماً بحرية الرأي دون أن تكون الآراء متوافقة - بالضرورة - مع سياسة التحرير أو رأي منظمة شار للتنمية

حقوق النشر والطبع محفوظة لمجلة شار

shar-magazine.com

info@shar-magazine.com

SharMagazine

SharMagazine

تصدر عن منظمة شار للتنمية

SHAR For Development

تصميم و إخراج: زمرد ستوديو | www.zmrdstudio.com

شـــار تخطو خطوتها الأولى

يستغرق التّفكير فيما يحدث وقتاً وألماً كبيرين وتنسدل على نوافذ التّأمل ستائر ملطّخة بالدّم ورائحة البارود، وتبدو خلف زجاجها المحطّم تلك الحرب الّتي لا يجمّل صورتها الدّميمة أيّ مستحضر أو جراحة، فهي الحدث الّذي لا يبدو من مآلاته سوى اللّون الأسود والحرائق والأشلاء.

في هذا المعترك الضّحل والملغوم، تتعاظم الحاجة إلى لملمة الجّهود واختراق العتمة وإيجاد سبل للتّنفس والحركة لدى محبي السّلام المراهنين على العيش مع الآخر المتمايز، إذ ينبغي أن لا يخفت الصّوت المدنيّ، وأن يجد المدافعون عن قيم التّعايش موطئ قدم لهم، وأن يوسّعوا هوامش حركتهم سعياً لتخفيف وطأة هذا الصّراع الدّموي المنفلت من كل عقال، فحين تعصف رهانات السّياسة والعسكرة والصّراعات الطّائفية والعرقيّة بالسّلم الأهلي وحياة المدنيّين؛ تغدو الأجواء مأزومة ومربكة كما يتحوّل العمل في الشّأن العام إلى ضرب من التّحدي.

«روج آفا»، «الجّزيرة»، «شمال شرق سوريا»، «كردستان سوريا»، «المناطق الكرديّة»، «محافظة الحسكة»، «بيت نهرين» وتسميات أخرى تستعمل في الإشارة إلى مناطق تشكّل مزيجاً حضارياً وأقواميا لها ميراث في التعايش والعلاقات الوطيدة بين المكونات، من كرد وعرب وسريان؛ كانت الطابع الأكثر وضوحاً والسمة المميزة لمنطقة لم ينتقل إليها سعار الدم والذبح و الاحتراب الحالي، وهذا انبنى على استفادة كبيرة من أخطاء التاريخ، وعلى ميل نحو السلم المجتمعي بالرغم من كل محاولات ضرب المكونات ببعضها.

لقمان أحمد

لقمان أحمد

هي المنطقة التي توزع فيها أعداد مجلتنا الثقافية الجديدة ذات التوجه المدني (شار)، والتي تعد من أكثر المناطق خصوبة للعمل المدني والإعلامي ضمن المشهد السوري الحالي. وهنالك رغبة كبيرة لدى أبنائها – على اختلاف مشاربهم – ليتجاوزوا الظروف المأساوية التي أحاطت بمنطقتهم وباقي مناطق سوريا، إذ لم تدخل في صراعات طائفية ولا مذهبية ولا عرقية ذات طابع جمعي، مع أنها استهدفت مراراً من قبل أطراف كثيرة تعول على استدامة الحروب والدمار.

لا تتبنى شار موقفاً سياسياً بل تنحو باتجاه تقديم صورة عن حياة الناس وظروفهم، وتعكس التحولات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المرافقة للنزاع، كما تسعى أيضاً لإبراز قيم التعايش والتسامح وتعميق الفهم بالديمقراطية وحقوق الإنسان ومفاهيم المجتمع المدني ومقوماته، وحرية الإعلام والمشاركة السياسية والاجتماعية للمرأة، وتركز أيضاً على كل ما يتصل بالتربية المدنية و التعريف بالمفاهيم المؤسسة للوعي المدني.

الجانب المعاشي والاقتصادي بشكل عام سيكون له حضوره، وكذلك متابعات ومشاهدات للصحفيين الشباب في ظل الظروف الراهنة، وسيكون للصورة موقعها الحيوي ضمن شار؛ لأنها تعطي انطباعات سريعة وعميقة في آن معاً وتنقل المشاهد إلى أجواء الفكرة بدون رتوش أو انزياح، ولن يغفل فيها الأدب والفن من حيث كونهما روافد مهمة لتغذية وجدان الإنسان وتنمية ذائقته وحسه.

التجربة في الكتابة والتحرير بلغتين ربما تكون متعبة، غير أنها جديرة بأن تتابع وتتأصل، كون اللغة الكرديّة تعرضت للإمحاء والتهميش وضيّق عليها، وهي اللّغة الأم للكرد في هذه المنطقة، واللّغة العربيّة عدا عن كونها لغة عرب المنطقة فقد كانت وما تزال لغة التعليم والثقافة الأبرز، والّتي شكلت حاملاً للثّقافة والفكر والأدب والصّحافة، مع توفّر الرغبة العميقة لإضافة اللّغات والأبجديّات الخاصّة بالمكونات السّريانيّة والآشوريّة بمجرد توفر الإمكانية.

العدد الأول بانتقاءاته وتبويباته ومواضيعه سيكون عدداً تجريبيّاً بانتظار المقترحات والنّقد والتّصويبات لكلّ الجّمهور الكريم، ولاسيما أصحاب الخبرة والاختصاص الذين نعتز بآرائهم، على أمل أن يسعى الجميع لتأسيس ثقافة الحوار والجدل الذي يفضي لخلق مناخات صحية بعيدة عن الأحكام القطعية التي ملت منها النفوس في جو تتراكض فيه أشباح الموت ويسوده الدمار، وانهمار القذائف والبراميل.

المحررون

التضخم "أسبابه وتأثيراته على المواطن في منطقة الجزيرة"

نضال حنان

قبل الأزمة كان المواطن السوري يشتري مؤونته الغذائية بمبلغ ٢٠٠٠ ل س فتكفيه وعائلته لمدة أسبوع كامل، فيما لم يعد هذا المبلغ يكفي لشراء احتياجات يوم واحد الآن، في ظل فقدان أعداد كبيرة من المواطنين لمصادر أرزاقهم، وتراجع مستوى مداخيلهم.

وبين المؤونة والواقع السياسي علاقة تفاضلية اقتصادية خف أثرها في عموم سوريا، وذلك بفعل عاصفة الغلاء الفاحش التي اجتاحت أرجاء البلاد من جنوبها إلى شمالها، وتسلسلت في التهام السلع والمواد تدريجياً حتى ضاق الناس ذرعاً من لهيب النيران والحرمان، وانخفضت نسبة الطبقة المتوسطة التي كانت أوسع الشرائح الاجتماعية بتحول قسم كبير منها إلى الطبقة الفقيرة والمعدومة.

وأفاد تقرير للأمم المتحدة في تشرين الأول ٢٠١٣، أن نصف سكان سوريا والبالغ عددهم ٢٣ مليون شخص باتوا تحت خط الفقر، وأن ٤,٤ ملايين منهم يعانون من «فقر مدقع».

معدل ارتفاع الأسعار تجاوز منذ بداية الأزمة ٥٠٠٪

لم تتجاوز معدلات ارتفاع الأسعار السنوية في منتصف العقد الماضي في سوريا ٥١ ٪ وسطياً حسب أرقام المكتب المركزي للإحصاء التابع لرئاسة وزراء النظام السوري، بينما ارتفعت هذه النسبة في السنة الأولى للأزمة إلى ١١٧٪ وقفزت وسطياً خلال عام ٢٠١٣ إلى أكثر من ٥٠٠٪.

المادة	الوحدة	عام (٢٠٠٥)	عام (٢٠١١)	عام (٢٠١٣)	عام (٢٠١٤)	معدل الارتفاع
لحم هبرة الخروف	كيلو	٣٥٠	٨٠٠	١٥٠٠	١٠٠٠	٪٢٨٥
لحم العجل	كيلو	٢٤٠	٤٠٠	١٠٠٠	٧٠٠	٪٢٩١
فروج نيء	كيلو	٧٥	١١٠	٧٠٠	٤٥٠	٪٦٠٠
صحن البيض	صفد	٨٠	١٢٥	٧٠٠	٥٥٠	٪٦٨٧
اللبن	كيلو	٢٠	٣٥	١٥٠	١٠٠	٪٥٠٠
البصل	كيلو	١٥	١٥	١٠٠	٧٥	٪٥٠٠
البندورة	كيلو	١٠	٣٠	٢٥٠	١٠٠	٪١٠٠٠
البطاطا	كيلو	١٠	٣٥	١٥٠	٨٥	٪٨٥٠
الموز الصومالي	كيلو	٤٥	٦٠	٣٥٠	١٥٠	٪٣٣٠
التفاح	كيلو	٢٠	٦٠-٣٥	٣٠٠	١٠٠	٪٥٠٠
القمح (المائدة)	كيلو	١٨	٢٦	١١٠	١٠٠	٪٥٥٥
السكر	كيلو	٢٠	٢٥	١١٠	١٠٠	٪٥٠٠
مازوت	ليتر	٧	٤٥	٢٠٠	١٢٥	٪١٧٨٥
الاجمالي						٪٦٤٥

جدول يوضح معدل ارتفاع أسعار بعض السلع في عام ٢٠٠٥ وفقاً للأرقام الرسمية وفي أعوام الأزمة من مصادر محلية

اعتمد الكثيرون في تحديد نسب التضخم على معدل ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية وسعر صرف الدولار مقابل الليرة السورية ومبيع الذهب، والذي شهد ارتفاعاً قياسياً في السوق السوداء، وصل إلى نحو ٣٠٠ ليرة للدولار في نهاية ٢٠١٣ بعد أن كان ٤٧ ليرة قبل الأزمة، فيما كان سعر غرام الذهب عيار ٢١ قيراط نحو ١٥٠٠ل.س، تجاوز /١٠/ آلاف ليرة في شهر آب عام ٢٠١٣.

الأمان النسبي لا يعني تجنب التضخم

الشمال السوري وتحديداً منطقة الجزيرة ذات الغالبية الكردية، رغم تمتعها طيلة السنوات

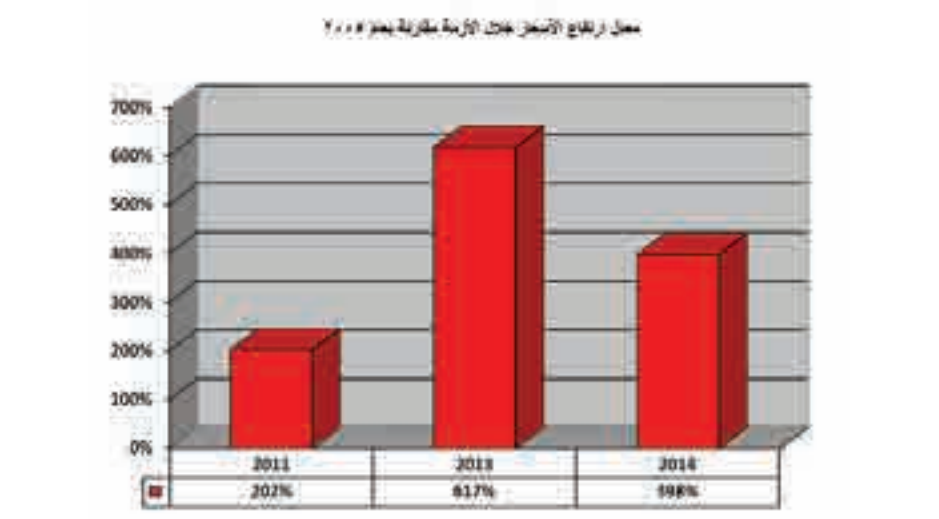

الثلاث من عمر الأزمة بالأمان النسبي مقارنة بالمناطق الأخرى الملتهبة وغناها بالثروة الزراعية الكبيرة، إلا أنها لم تنجو من لهيب التضخم وارتفاع الأسعار وقلة المعروض السلعي الناجم بشكل طبيعي عن تدهور الأحوال الأمنية في البلاد نتيجة الصراع، بل نالت ضربات عميقة أنهكت الأسواق وجيوب المواطنين فيها.

وذلك لأسباب عدة بحسب مراقبين منها:

الاعتماد على المنتجات والسلع المستوردة من خلال التجارة غير الشرعية التي نشطت عبر الحدود والمعتمدة على العملة الأجنبية.

ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية، بعد خروج عدد كبير من القطاعات الإنتاجية (معامل ومصانع)، عن دورتها بسبب التدمير المنهج لها في المراكز الصناعية بحلب ودمشق وحمص وغيرها.

تدهور سعر صرف الدولار المستمر تجاه العملة الوطنية.

زيادة الطلب المحلي مع تصاعد معدل الاستهلاك نتيجة النزوح الكبير من المناطق الساخنة إلى منطقة الجزيرة وعدم توفر المعروض الكافي.

ممارسات بعض التجار في التلاعب بالأسعار، وممارسة الاحتكار.

وارتفاع أسعار المحروقات مما أدى إلى رفع تكلفة النقل والشحن.

الدور المتعاظم للجهات المتداخلة والشبكات التي لها مصالح احتكارية وخاصة المرتبطة بالفصائل العسكرية في تحديد أسعار محلية.

الحصار والمعارك زادت من حدة الارتفاع الجنوني للأسعار

التضخم كظاهرة يشير إلى وجود ارتفاع مستمر في الأسعار وانخفاض في قيمة النقود وضعف القدرة الشرائية (حسب التعريف الأكثر تداولاً له)، تصاعدت مستوياته في منطقة الجزيرة، بالتزامن مع ارتفاع وتيرة الأعمال العسكرية في سوريا من جهة، وتراجع دور الدولة في إدارة الشؤون العامة والثروات من جهة أخرى، ووصلت ذروتها مع دخول وحدات حماية الشعب (القوة العسكرية التي تسيطر على منطقة الجزيرة) في المعارك مع الجماعات المعارضة والمتشددة على تخومها مع المناطق المجاورة، فكانت الأسواق أكبر الخاسرين، بسبب منع دخول السلع والمواد الاستهلاكية الغالية أساساً إليها، وافتقارها بفعل التهميش الحكومي طيلة العقود الماضية للصناعات التحويلية، فبرزت سمات التضخم بارتفاع كبير للسلع المكونة للسلة الاستهلاكية للمواطن والمحروقات، ووصلت معدلاته إلى نحو ٤٠٠ ٪ في بعض الفترات، إلى جانب ضعف القدرة الشرائية للمواطنين مع تراجع الإنتاج الزراعي وفقدان الكثيرين لوظائفهم وأعمالهم في المدن الكبرى.

الأسعار تخطت الأرقام القياسية عقب التهديدات الأمريكية

يرى مراقبون أن أكثر الفترات التي شهدت ارتفاعاً في الأسعار كانت عقب التهديدات الأمريكية للنظام السوري واتهامه باستخدام الكيماوي، وشيوع احتمالات تعرض منطقة الجزيرة أيضاً للحرب وآثارها، حيث شهدت الأسواق ارتفاعاً جنونياً في سوريا عموماً، بسبب الإقبال الكبير على شراء المواد الغذائية وتخزينها، ترافق ذلك مع لجوء التجار إلى احتكار المواد من أجل التحكم برفع الأسعار أكثر فأكثر. وبحسب هؤلاء المراقبين فإن أسعار السلع ارتفعت بنسبة ٤٠٪.

كذلك ارتفعت الأسعار بمعدلات وسطية وصلت إلى ٤٠٠٪ في فترة الحصار على منطقة الجزيرة ومنع انسياب السلع اليها، فيما تشهد المنطقة الآن تحسناً طفيفاً في الأسعار.

قصور العرض والاحتكار أكثر أسباب التضخم ضرراً

يؤكد الدكتور مسلم طالاس أستاذ الاقتصاد في جامعة ماردين التركية الحكومية أن التغييرات الاقتصادية التي حدثت في سوريا عموماً، أثرت على منطقة الجزيرة وخاصة في الجانب النقدي من التضخم.

ويرى أن التضخم في الأزمة السورية عموماً وفي منطقة الجزيرة خصوصاً تجلى في عدة أشكال:

أولاً: التضخم النقدي من خلال زيادة طبع العملة ومن ثم انخفاض قيمتها، وما تلاها من انخفاض سعر صرف العملة وارتفاع أسعار السلع المستوردة وانعكاس ذلك بارتفاع الأسعار العام محلياً (وهذا هو التضخم المستورد)،

هذا النوع من التضخم موجود في منطقة الجزيرة وفي سوريا بشكل عام (باعتبار عدم وجود استقلال نقدي لمنطقة الجزيرة)».

ثانياً: التضخم المتعلق بالعلاقة بين عرض وطلب السلع في السوق، حيث تراجع المعروض من السلع في أسواق منطقة الجزيرة إلى نسب أقل بكثير من الكميات المطلوبة، وذلك بسبب ارتفاع تكاليف الإنتاج، وارتفاع تكاليف النقل وصعوبة الإنتاج، مما يعني قصور العرض من السلع عن الطلب بسبب ضعف الإنتاج وصعوبة المواصلات إضافة إلى الحصار الاقتصادي.

ثالثاً: التضخم الذي يمكن تسميته بالإداري وهو ناتج عن الاحتكار، ويعتبر طالاس أن «شدة القصور في العرض أحد أسباب التضخم الأكثر ضرراً، ومن ثم وجود درجة عالية من احتكار السوق من قبل البعض».

ويرى طالاس أن «حالة التضخم في مناطق النظام متدنية مقارنة مع المناطق الأخرى، وإن السبب يتعلق بالدرجة الأولى بوفرة العرض من السلع والخدمات، حيث أن البنية الإنتاجية لمناطق النظام أقل تضرراً من مناطق المعارضة، وهناك الكثير من الإمكانات الإنتاجية التي نزحت لمناطق النظام، بينما لا تملك المعارضة إدارة اقتصادية لمناطقها».

مؤشر الأسعار يتحرك وفقاً لمناطق النفوذ والسيطرة

إن أسعار السلع في سوريا مرتبط بمناطق السيطرة والنفوذ للقوى الموجودة على الأرض، وهي المناطق الخاضعة إما لـ (النظام – الجيش الحر – الدولة الإسلامية في العراق والشام – مناطق الإدارة الذاتية الكردية)، ويتأثر السعر بعدة عوامل، تتعلق بنوعية السلعة ومصدر استيرادها، أو إنتاجها وطرق وأشكال شحنها وتوزيعها، والجهات التي تدير العملية التجارية.

اسم المادة	الوحدة	الرقة	دمشق	عفرين	حلب (نظام)
لحم الخاروف	كيلو	١٠٠٠	١٨٠٠	١٣٠٠	١٣٥٠
فروج نيء	كيلو	٤٥٠	٦٥٠	٤١٠	٥٠٠
صحن البيض	صفد	٥٥٠	٦٥٠	٥٥٠	٦٥٠
اللبن	كيلو	١٣٠	١٥٠	١٠٠	١٥٠
البصل	كيلو	٦٠	٥٠	٣٠	٥٠
البندورة	كيلو	١٣٥	١٢٥	١٥٠	١٢٥
البطاطا	كيلو	١٢٥	١٢٥	١٨٠	١٥٠
الموز الصومالي	كيلو	٢٢٥	٢٠٠	٣٢٥	٢٥٠
التفاح	كيلو	١٧٠	٢٠٠	١٧٥	٢٥٠
السكر	كيلو	١٢٥	١٠٠	١٠٠	١٠٠
مازوت	ليتر	١٤٠ نظامي	٦٠ دولة		٦٠ دولة
		٧٥	٨٠ حر	٧٠	٨٠ حر
البنزين	ليتر	٢٢٥ نظامي	١٠٠ دولة		١٠٥
		١٠٠ محلي	١٢٠ حر	٢٢٠	٢٢٠

جدول يبين فروق الاسعار بين المناطق السورية في الربع الاول من عام ٢٠١٤ بالعملة السورية

هل تمتلك منطقة الجزيرة مقومات اقتصادية؟

يجمع الاقتصاديون على أن الأحداث المأساوية التي تشهدها سورية تركت إرثاً اقتصادياً ثقيلاً ومدمراً، يصعب التخلص منه لعقود، وهو ما يؤكده تقرير للأمم المتحدة الذي وصف الوضع الاقتصادي في سوريا بأنه «كارثة اقتصادية» تحتاج إلى ٣٠ عاماً كي يتعافى منها ويعود لمستوياته التي كان عليها في عام ٢٠١٠.

بالمقابل يُلمح آخرون إلى اختلاف الحال بالنسبة لمنطقة الجزيرة التي تمتلك مقومات النهوض بالاقتصاد اعتماداً على عدة عوامل:

أولاً: تمتعها بالثروات الباطنية والسطحية التي تمكنها من خلق بيئة اقتصادية مستقلة نسبياً.

ثانياً: نجاح الكرد في إبقاء مناطقهم خارج سياق الدمار الشامل الذي حل بالبنية التحتية للبلد وصناعته.

ويبقى كل ذلك رهينة نجاح السياسات والإجراءات الاقتصادية التي ستطبق في تلك المناطق ومقدرتها على انتشال المنطقة من الركام المنتشر في عموم سوريا.

الوعي المدني وضروراته

شيرين محمد

مع بداية الحراك الشعبي في سوريا ازداد العمل والنشاط في مجال التربية المدنية، التي تعني مجموع البرامج التي تعرّف بالقواعد الأساسية ومقومات المؤسسات في النظام السياسي الديمقراطي، والتي تشيع عن طريق المعرفة بالحقوق والممارسات الديمقراطية، والمساواة بين الجنسين، والعمل الجماعي. في المقابل يتمكن المواطنون، بفضل اتساع معرفتهم بحقوقهم الدستورية والتقنيات المعتمدة في تنظيم المجتمع المدني، من المشاركة الفعلية في عمل المجتمع المحلي ومؤسسات الحكم وفي رسم السياسات.

انتشرت هذه الأنشطة داخل سوريا وخارجها، وتنامت في ظل توفر الدعم لها من قبل منظمات وهيئات ذات طابع دولي وإقليمي، فاحتلت التربية المدنية حيّزاً واسعاً من التدريبات والدورات التي تلقاها الناشطون رجالا ونساء. وبالرغم من الجهود التي تبذل إلا أن النشاط لم يصل إلى المستوى المطلوب بعد، ويعود ذلك إلى أننا لم نعش أو نعاصر التحولات الفكرية لمفهوم المجتمع المدني والتربية المدنية، التي وصلتنا في صيغة أفكار معلبة وجاهزة مثل مفهوم الديمقراطية.

يعود مفهوم المجتمع المدني والتربية المدنية من حيث الأصول إلى القرن السابع عشر. حيث كانت التصورات الأولى لمفهوم المجتمع المدني في أوربا تعني الدولة خلافاً لما يعتقد، وكان الفهم الأول للمجتمع المدني في ذلك الوقت يقابل مفهوم المجتمع الطبيعي، المجتمع الذي يعيش بدون تنظيم سياسي وبدون دولة وينظم نفسه على شكل تعاقدات اجتماعية، إذ أن المجتمع مؤلف من أفراد لديهم استقلال ذاتي، وهؤلاء الأفراد قادرون على تشكيل مجتمع وفق أسس وأصول محددة، هذا المجتمع هو الدولة، ومنذ ذلك الحين مرّ المجتمع المدني بالكثير من التطورات والتحولات.

هناك من يعتقد أن المنظمات هي ذاتها المجتمع المدني، إلا أن الاتحادات والجمعيات التي تشكل جزءاً من المجتمع المدني هي تطور متأخر في مجتمعنا بخلاف أوروبا، التي وصلت لما هي عليه بعد تاريخ طويل من مساهمات أفراد أحرار وجهود الفلاسفة والمنظرين السياسيين.

إن الأساس الذي يكوّن المجتمع المدني هو مواطن فرد وحر، أي أن الاتحادات والنقابات والأحزاب...إلخ، وحدها لا تمثل المجتمع المدني بل هو حصيلة تطورات فكرية تراكمية عبر مراحل كثيرة من تاريخ المجتمع، وبالتالي فهو مجتمع قادر على إنتاج نفسه خارج آليات ممارسة الدولة لسلطاتها.

في وضعنا الراهن نجد الكثير من المنظمات غير الحكومية والاتحادات التي يتمحور دورها على حث المواطن الانخراط في المجالات الفكرية والتوعوية، عن طريق التربية

المدنية، وتنظيم دورات تدريبية وتثقيفية حول موضوعات ذات صلة بتعميق روح المواطنة والشعور الوطني، والعمل كأفراد فاعلين في المجتمع واتخاذ القرارات، بالإضافة إلى التحرر من قيود الانتماءات الفردية والانتماءات الطبيعية، وهكذا نستطيع أنّ نعرّف التربية المدنية ونحدد الاستراتيجية التي يجب العمل وفقاً لها، للوصول إلى بناء مجتمع مدني.

التربية المدنية في العرف المدرسي مادة تعليمية استراتيجية من بين المواد المدرجة في المناهج التعليمية. تهدف أساساً إلى تنمية الإحساس بالمصلحة العامة واحترام القانون وحقوق الإنسان، تقوم على تكوين الفرد تكويناً اجتماعياً وحضارياً، يؤهله للعيش كمواطن صالح، يشعر بمسؤوليته، واعٍ بالتزاماته، كعضوٍ كامل الحقوق في المجتمع الذي يساهم في بنائه، يدرك ما له من حقوق وما عليه من واجبات، متشبع بشخصيته الوطنية، منفتح على القيم العالمية، قادر على التكيف مع الوضعيات، ومجابهة المشاكل التي تواجهه في حياته اليومية. وتهدف التربية المدنية في هذا المستوى إلى تدعيم وتعميق المكتسبات القبلية بواجبات المواطنة والسلوك الديمقراطي، وحسن الاتصال والتواصل واكتشاف العلاقة ببعض المؤسسات الوطنية والعالمية.

ما تزال المنظمات حتى الآن تخطو خطواتها الأولى على طريق التربية المدنية وإقامة مجتمع مدني متحضر منفصل عن الدولة وأجهزتها، وقد مهدت ظروف الصراع والاضطرابات التي عصفت بسوريا، على ظهور العديد من المنظمات والجمعيات العاملة في مجال العمل المدني والتي تساعد بدورها في تحديد ملامح نشوء مجتمع مدني معاصر في البلاد رغم الصعوبات التي تعترض طريق هذه المنظمات والجمعيات، ورغم صعود بعض القوى المتشددة المناهضة لفكرة العمل المدني في البلاد، إلا أن العديد من نشطاء الحراك المدني لم يتخلوا عن مشروع المدنية الذي وجدوا فيه الخيار الأفضل، من أجل الخروج من مستنقع الصراع الدائر، والذي قد يودي في النهاية بسبب تعقيد خارطة توزع القوى المسلحة بمشروع الدولة المدنية التعددية، أدراج الرياح.

الأهداف التي ترمي إليها التربية المدنية عديدة منها: تنمية الأخلاق في نفوس الأفراد من أجل المحافظة على الأخلاق العامة، واحترام الحريات العامة، الارتقاء بالحس الإنساني، رفض التفرقة والتميز العنصري والتأكيد على الحياة الاجتماعية، الانخراط في الجماعة والمجتمع وتقدير الروابط الإنسانية بين الشعوب، كما تساعد الأفراد في التعرف على مؤسسات المجتمع المدني ومساعدتها في تنفيذ برامجها، وإتاحة الفرص أمام جميع المواطنين لممارسة دور فعال في بناء المجتمع، وتحديد ملامح العلاقات التي تربط بينه وبين الفرد، وبين الفرد والدولة، وكذلك بين الفرد وأقرانه. هذه الأهداف على شموليتها وإحاطتها بكل تفاصيل العلاقات التبادلية بين الوحدة الأساسية في بناء المجتمع الإنساني أي الإنسان والمؤسسات التي ينتجها، تحتاج لترجمة عملية وتطبيقية على أرض الواقع، حتى تتراكم الممارسة وتتكامل مع

الأطر النظرية، وهذا يأتي من خلال تعميق دور مؤسسات المجتمع المدني المحلية والوطنية.

بالإضافة إلى ذلك تقوم التربية المدنية بتزويد الأفراد بمفهومي الدولة والمجتمع وترسيخ القيم المترافقة معهما، والكيفية التي تمكنهم من القيام بأدوارهم، ليكونوا أعضاء فاعلين في المجتمع، مع إغناء الأفراد بمفهومي الرعاية الصحية والحماية البيئية، وعدم التعدّي على أي منهما، وتحقيق الأمن والعدالة في المجتمع، عبر سياقات قانونية واجتماعية منسجمة مع البنية المفاهيمية التي تنطوي عليها مؤسسات المجتمع التقليدية (عادات، تقاليد، أعراف ... إلخ)، بالموازاة مع عملية تطوير وارتقاء بكل ما هو إيجابي وترسيخه عبر تغذية راجعة جمعية، ونبذ كل ما يمثّل عائقاً أمام صيرورة التطور، عبر توعية الأفراد والجماعات

بالمخاطر المتأتية منها، من أجل حصرها ومن ثم التمهيد لإزالتها من الوعي ما قبل المدني.

وجود المنظمات المدنية والاتحادات والجمعيات الطوعية كان أمراً شبه مفقود في سوريا قبل الثورة، ثم بدأت أعمال تلك الجمعيات والمنظمات بالازدياد في الوقت الذي ظهرت فيه عددٌ من هذه المنظمات والجمعيات، وفق صيغ بسيطة في ظل غياب الكوادر ذات الخبرة في هذا المجال، حيث بدأت بشكل عام من مبادرات فردية لأشخاص آمنوا بأهمية العمل المدني وترسيخ قيمه، وتعويم فكرة التربية المدنية تجنباً للمآلات الحادة التي قد تعصف بالبلاد في ظل سيادة ثقافة السلاح واللاتسامح التي بدت وكأنها ملمح عام في المشهد السوري، كان من الطبيعي أن لا تصل هذه المنظمات والجمعيات إلى المستوى الذي تعمل وفقاً له الجمعيات والمنظمات المدنية في أوروبا، والتي تشكل المجتمع المدني فيها، نظراً لخصوصية الوضع السوري والأخطار المحدقة ببناه الفوقية والتحتية وتراتبياته الاجتماعية. إلا أنها ورغم ذلك تحاول السير على خطى التقدم وتسعى إلى تحقيق أهداف التربية المدنية، وإن في الحد الأدنى.

لعل الحيّز الأهم لعمل منظمات وجمعيات المجتمع المدني السورية في ظل الصراع القائم هو الحفاظ على مسافة أمان بين كل المكونات، والتي كانت إحدى الصفات المميزة لصيغ الحياة المدينة خلال العقود الماضية، رغم حالة التهميش التي طالت الهويات المدنية وما قبل الوطنية، وتفوق الانتماءات القبلية المحدودة على باقي الانتماءات الجامعة والضامنة لصيغ العيش المشترك، ويبقى السؤال حول إمكانية هذه المنظمات والجمعيات في ترسيخ الثقافة المدنية، وعكس رغبة العاملين والمتطوعين فيها ومن خلفهم الجهات الداعمة في جعل الهوية المدنية حالة مستدامة تجمع بين السوريين في ظل الظروف الصعبة التي تعصف ببلادهم.

الضامن الأساسي لتنامي الوعي المدني هو توفر الإرادة في العمل، وإدراك أهميته بين النخب أولاً، ومن ثم الفعاليات والأطر التي تمثل المجتمع المدني بشكل أو بآخر. فما زالت النخب الموجودة منقسمة على نفسها ومتذررة التوجه، ولا تنحو باتجاه الصالح العام مفضلة – في العموم – صعودها «النخبوي» وقلقها على مصالحها أكثر من حرصها على ما يترتب عليها من التزامات في الظرف الحرج جداً؛ الذي بات مهدداً لكل أوجه الحياة المدنية، ولهذا لا يصح الاستخفاف بأي عمل مدني، ولا أية مبادرة تبعث الروح في أي ملمح مدني ولو كانت في طورها الجنيني، تحت دعوى وجوب حمل السلاح وعلو صوت المعركة، فكل طفل يتعلم الرسم والموسيقا، أو كيف يحترم إشارات المرور هو مشروع مواطن جاد محب لبلده، أكثر من ذاك الطفل الذي تنمو خياشيمه على رائحة البارود وغبار الأبنية المتهدمة.

الجزيرة: «نموذج للتعايش والسلم الأهلي»

مجيد محمد

يختلف توصيف المعنى الحقيقي لمفهوم السلم الأهلي والعيش المشترك من جماعة إلى أخرى، ومن باحث إلى آخر، وتتضمن جل هذه التوصيفات مفاهيم من مثل «الأمن والأمان، المدينة الفاضلة، الإصلاح، المساواة، القبول ...إلخ»، ولكن ورغم الاختلاف في المسميات والوصف على تنوع الثقافات والمجتمعات وأنظمة الحكم السائدة، يبقى الهدف الأساس والجوهري في لفظتي السلم الأهلي والعيش المشترك متقاطعة إلى حد بعيد، تتمثل في الحفاظ على نمط من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية وكذلك السياسية الآمنة والمقبولة لدى شرائح ومكونات المجتمع المتمايزة.

مفاهيمياً، يعني السلم الأهلي أن يتمتع الإنسان بالحق الطبيعي له في البقاء على قيد الحياة، وممارسة أعماله الخاصة والجماعية بحرية ومسؤولية، وأن يملك الحق في الحصول على متطلبات العيش وحقوقه بسهولة دون أي خوف من التهديد أو الاعتداء عليه وعلى محيطه الاجتماعي المحلي، ويعني كذلك تمتعه بحق فض الخلافات والنزاعات مع الآخرين من المقيمين في المجتمع بوسائل وأدوات مبنية على أساس الاحتكام لقيم وقوانين وتقاليد واضحة وآمنة متخذة من التفاهم الجوهر الحقيقي لكل ذلك.

في خضم الأزمة التي تعيشها البلاد منذ ما يقارب الثلاث سنوات، تعالت بعض الأصوات المنادية بحماية قيم السلم الأهلي والعيش المشترك في المجتمع السوري المتعدد المكونات الإثنية والدينية، حفاظاً على مستقبل كل الجماعات المحلية وثقافاتها الفرعية المتفصلة عضوياً مع ثقافة المجتمع الكلي، القائمة في أساسها على قيم القبول والمساواة رغم سيادة نظام قمعي استبدادي لأكثر من خمسين عاماً، إن نظرة متفحصة لواقع المجتمع السوري ما قبل الثورة وبعيدها يثبت بطريقة ذات دلالة ارتباطية، أن السلم الأهلي والعيش المشترك في المجتمع السوري الكلي، وفي مجتمعاته الفرعية المحلية، كان أمراً حاضراً ويملك أرضية أقل ما يقال عنها أنها مناسبة للحفاظ على التماسك، وحد أدنى من الاستعداد الغريزي لقبول الآخر المتمايز رغم التهميش والطمس الذي طال الهويات المحلية الفرعية الذي مارسته سلطة الاستبداد، أرضية مقبولة بالمقارنة مع غيره من المجتمعات المتشابهة من حيث التكوين والتي ما تزال تتخبط في صراع تثبيت حق الحياة وتأكيد حق الجماعة وقبله حق الفرد في التمتع بحياة آمنة ومستقرة.

تمثل منطقة الجزيرة السورية عينة مجتمعية صغيرة لتركيبة المجتمع السوري العامة، من حيث المكونات الإثنية والدينية، وبمراجعة تاريخ السلم الأهلي من حيث كونه أمراً واقعاً في هذا الإقليم الجغرافي، تنحصر ذاكرة المواطن بأحداث قليلة عكرت صفو السلم الأهلي وطرحت تساؤلات كبرى حول مستقبل هذا المفهوم في حماية تلك المكونات وأنماط حياتها وأنساق علاقاتها، إن بدأنا من أكثر الأحداث الحادة التي تعرضت لها المنطقة، فمن الطبيعي الحديث عن أحداث عام ٢٠٠٤ في مدينة القامشلي، حينها راهن النظام السوري بعد الاستفاقة التي شهدها الشارع الكردي نتيجة لتغير طبيعة تعاطي الحركة السياسية الكردية مع الملفات الكردية المحلية من المشاريع الاستثنائية المطبقة في إقليم الجزيرة إلى بناء علاقات مع المعارضة السورية الوطنية في دمشق وحلب، أنه يمكنه اللعب على وتر تأجيج الصراع العربي الكردي والذي نجح في زرعه بين مجموعات محدودة من الطرفين، لكن ما حدث شكّل مفاجأة لحسابات القادة الأمنيين المسؤولين عن تلك الأحداث، لم يتورط العرب في الأحداث بالشكل الذي كان مخططاً له، إنما تورطت الأجهزة الأمنية وفروع المخابرات وبعض الجماعات المدعومة منها في قمع الانتفاضة المحلية، والتي استهدفت حقوق الكرد في الحياة كحق طبيعي ومجرد

للمرة الأولى في سوريا، اجتمعت العشائر العربية بممثلين عن الحركة السياسية الكردية ووجهاء محليين ووضعت صيغ لتفاهمات أكثر عمقاً تقف في وجه محاولات أخرى محتملة قد يقدم عليها النظام القائم على العقلية المخابراتية، وفرض حالة من الشقاق بين مكونات الأقاليم السورية المحلية.

تمثل هذه الحادثة زاوية مهمة جداً لفهم طبيعة علاقات السلم الأهلي والعيش المشترك التي تختارها الجماعات المتمايزة لنفسها، لتحافظ كل منها على مسافة آمنة في حال حدثت أي تصدعات أو خروقات فجة تهدد الحقوق الطبيعية لكل منها. لكن لماذا كانت هذه الحادثة وطريقة تعامل المكونات معها أمراً مفاجئاً للنظام، مرد ذلك يعود إلى فهمٍ عميق لأدبيات العيش والسلم الأهلي انطلاقاً من أنماط الحياة والعلاقات بين كتل المجتمع المحلي والأفراد، فبناء إنسان سوي لا يعتدي على حقوق أو ممتلكات الآخرين، يقتضي بالضرورة حصوله على احتياجاته الضرورية من تعليم وعلاج ومأكل ومشرب ...إلخ، وفي ظل غياب جل هذه الاحتياجات في المجتمع السوري عامةً ومجتمع الجزيرة خاصة، كان من المفروض وفقاً لحسابات النظام أن تدخل المنطقة في آتون صراع إثني طويل، يشكّل بداية لتوغل النظام وبعمق أكبر هذه المرة في الإقليم، لكن تظافر مفاهيم السلم الأهلي والعيش المشتركة المنتجة محلياً والمستندة على إرث طويل من العلاقات المتداخلة بين المكونات قطعت الطريق على هكذا مخطط.

مع بداية الثورة السورية، مثّل ملف عرب

الغمر (الذين استقدمهم نظام الأسد الأب من محافظة الرقة بعد بناء سد الفرات إلى المنطقة وتوزيع أراضي مواطنين كرد عليهم تعويضاً عن أراضيهم التي غمرتها مياه السد) قضية ذات أبعاد اجتماعية وسياسية واقتصادية تهدد السلم الأهلي والعيش المشترك في المنطقة، لكن وطوال السنوات الثلاث، لم تتسم الأصوات الداعية لإعادة حقوق المواطنين الكرد إليهم بإرجاع أراضيهم الموزعة على عرب الغمر لهم مرة أخرى بالعدائية، على العكس تماماً، فأغلب الحلول التي اقترحتها منظمات وهيئات وحتى أحزاب سياسية تعاملت مع القضية بطريقة تعكس تجذر مفاهيم السلم والعيش المشترك، بعيداً عن التشنج وصيغ الإجبار التي مارسها النظام، على الرغم من هشاشة النظام في هذه المنطقة والذي قدم نفسه فيها على أنه الضامن لبقاء عرب الغمر فيها، ولم تسجل حتى اللحظة أي حادثة اعتداء من الطرفين على خلفية هذه القضية.

إن صيغ السلم الأهلي والعيش المشترك بين مكونات المجتمع المحلي في منطقة الجزيرة قد يمثّل مثالاً يحتذى به في باقي الأقاليم السورية، على الرغم من بعض الحوادث التي لا تتجاوز كونها أحداث فردية يقدم عليها بعض الأشخاص غير الأسوياء اجتماعياً، ويبقى الأمر الأكثر أهمية بعد أن أخذ الصراع السوري في باقي المناطق منحى يهدد صيغ السلم والعيش المشترك، أن منطقة الجزيرة ورغم التنوع الكبير في تكوينها الاجتماعي حافظت على بارقة أمل للسوريين جميعاً، بأن هناك من السوريين من لهم القدرة على الاستمرار جنباً إلى جنب رغم حدّة الصراع ومآلاته المدمرة وآثاره الكارثية.

تربه سبي مدينةُ تُقرعُ فيها الأجراس

محمد مجيد حسين

مدينة «Tirbespî» تربه سبي، تلكَ التي ذاعَ صيتها حينَ قُتلَ على تلتها المعروفة باسم «Diyarê Topê» (تلة المدفع)، الجنرال الفرنسي روكان، و التي تحتفظ في سجل ذاكرتها حين كانت قرية في ذلك الزمان، بصورة الدمار الذي لحق بها على يد الفرنسيين إثر الحادثة. ثمّ تحوّلت إلى مدينة على أيدي الفرنسيين أنفسهم عام ١٩٢٥ بعد نقلهم ثكنتهم العسكرية إليها من قرية بياندور.

هذه البلدة كانت حاضرة أهل الأرياف في المنطقة، عزيز توما من مواليد ١٩٥٨ قرية «Dêrûna Qulinga» (ديرونا قلنكا) قدم هو الآخر كغيره من أولئك الذين سعوا لإتمام دراستهم إلى البلدة الصغيرة، ثم الانتقال إلى دمشق لدراسة اللغة الفرنسية وآدابها، حيث تخرّج منها في الثمانينات، ليستقرّ بعدها في تربه سبي، البلدة البعيدة عن صخب العالم، ويمارس الكتابة والترجمة، توما من عائلة مسيحية كانت تقطن القرية وتمتهن الحدادة، يستدلّ من اسم القرية أنّها قرية سكنها مسيحيون أيضاً، كما هو واضح من لفظة «Dêrûnê»، والتي تعني الدير «الكنيسة»، وهي إحدى العوائل المسيحية التي سكنت تربه سبي قادمة من «Dêrûnê»، اتسمت البلدة بتنوعها إبان بناء الفرنسيين ثكنتهم فيها، حيث تشكّلت القرية من الكرد والمسيحيين، رغم هجرة الكثير من الشباب المسيحي إلى أوربا وأمريكا، كما هو حال الكرد من أبناء البلدة الآن، إلاّ أنّ البعض آثر البقاء في البلدة.

تربه سبي القرية التي بُنيت على أيدي الكرد في منتصف القرن التاسع عشر، كانت حتى سبعينات القرن العشرين مكونة من الكرد والمسيحيين، إلى جانب العرب الذين بدأوا بالتوافد إليها بعد ذلك، من القرى المُحدثة على طول الشريط الحدودي والذي يُسمّى بخط العشرة «أي عمق ١٠ كم، ابتداءً من الحدود التركية» والذي طُبق ضمنه مشروع الحزام العربي.

يقول توما أن «الحداثة هي ابتكار الفكر الغربي خلال مسيرته التاريخية إثر صدمات نفسية مغلقة، والتي توصلت أخيراً إلى قبول الآخر واحترام ذاتية الإنسان، والبحث الدؤوب عن الخللِ الاجتماعي لبناءِ عالمٍ أفضل».

يعاني المثقفون بشكل عام أمثال توما؛ من النظر إلى الأمور بموازين نهاية التجربة الغربية إزاء مجتمعاتهم، وابتكار الحلول وكيلها وفقاً لتلك المعايير، ويُدرك المثقفون أنّ المجتمعَ الشرقي عموماً، بما فيه من نماذج شبيهة بمدينة تربه سبي، بحاجة إلى دراسات تحليلية، ومن ثم اقتراح الحلول المناسبة وغير المستوردة، ويتابع توما: «تتميّز هذه البلدة بتنوع عرقي أسوة بباقي المناطق والمدن في الجزيرة، ولكن تدني نسبة التفاعل بين مكونات المجتمع يعود إلى قلة الوعي، وعدم ممارسة الديمقراطية وفقاً لقواعدها الحضارية».

في تربه سبي يسكن أهل المنطقة من العرب إلى جانب الوافدين من عرب الغمر (الذين استقدمهم حزب البعث إلى المنطقة بعد أن غمرت مياه سد الفرات أراضيهم في محافظة الرقة). وعرب المنطقة تسمية تُطلق عادة للتفريق بينهم وبين عرب الغمر، شركاء العيش المشترك، والذين يتطلعون لحياة أفضل في المستقبل، ومن هؤلاء الحاج خيرو أبو الخير الذي يقول: «التعايش هو من صلب حياتنا، وهو الحالة الطبيعية، ولكن ما آلت إليه الأوضاع هي التي جعلت التعايش صعب

المنال نتيجة السياسات التي مورست على الشعب».

في ذروة المدّ الشيوعي وانتشار الفكر اليساري، تبنّى الكثيرون هذا الفكر الذي مثّل في السبعينات والثمانينات نوعاً من التحرّر والتوجّه العلماني، شكري عباس من مواليد ١٩٥٢ «Girêpirê»، من هؤلاء اليساريين، كانت البلدة على موعد معه، كما كانت على موعد مع غيره من المثقفين أمثال توما، عباس يختلف مع الآخرين فيما يخص التعايش في البلدة، فيقول: «الاستبداد هو السبب الأول في عدم انفتاح مكوّنات المجتمع على بعضها البعض، وكذلك قلّة الوعي والثقافة هي التي لعبت دوراً في عدم التعايش، الذي يأتي من عدم تقبل الآخر، شريكنا في هذه الحياة. فالثقافة بمختلف أنماطها تساهم في عملية التعايش، والحياة جميلة تستحقُّ منّا التضحية من أجل غدٍ أفضل».

بلدة تربه سبي التي كانت النموذج الهادئ في العيش المشترك للمكوّنات المختلفة، عانت من تغييرات ديموغرافية ممنهجة، نتيجة السياسات الشوفينية لحزب البعث في المنطقة، ما تزال تحتفظ بذاكرتها العميقة وإرثها المتجذر رغم التحديات المحدقة بها.

عزيز توما يعيشُ حياته الآن هادئاً مثله كمثل أولئك الذين حملوا أحلامهم عبر الثقافة، والتطلع إلى حياة أفضل ووعي أكبر، والتعايش مع الجميع. وكمسيحي يرى؛ كيف أنّ الكثير من العوائل التي لجأت إلى أوربا والدول الغربية، وتركوا أرضهم التي كبروا عليها، ومع ذلك تبقى نواقيس الكنائسَ تُقرعُ أيام الآحاد، كأنها أغنية للسلام والوئام مع الكرد والعرب، وجميع مكونات المنطقة.

السلم الأهلي منهج لتعايش السوريين

عاصم محمود أمين

السلم الأهلي ليس حلاً مؤقتاً للتعايش، إنما هو مشروع أخلاقي إنساني أكثر منه سياسي، ويأتي كأحد الأولويات في سلم الحاجات الاجتماعية إلى جانب الحاجات البيولوجية، والأساس لاستقرار أي مجتمع. كما يقوم هذا السلم على ركائز كالعدالة الاجتماعية المنبثقة من التوزيع العادل للثروة، والاستقرار السياسي القائم على التعددية والديمقراطية، والمساواة أمام القانون، وتوفير الحريات العامة.

يأتي منهج السلم الأهلي كقيمة سياسية واجتماعية، ليحل محل العنف والنزاع وذهنية إلغاء الآخر، هذا المنهج قائم على التسامح وقبول صيغ العيش المشترك، وهو الذي يحفظ ويصون الأمن والنسيج الاجتماعيين، من أي اهتراء أو تهالك، خاصة ضمن المجتمعات ذات الطابع متعدد التكوينات.

إن أي مشروع وطني يأتي عقب نزاع مسلح، لا يكتب له النجاح ما لم يضع السلم الأهلي كاستراتيجية وهدف دائم يعمل لتحقيقه قبل أي برنامج آخر، لأن السلم الأهلي كقيمة ومنهج لا يتحقق خارج الإطار الديمقراطي لأي دولة كانت، مهما بدت عليها تمظهرات القوة والتآلف الاجتماعي .

لذا فإن جهود المصالحة الوطنية بعد وقف النزاع من قبل السياسيين، لابد أن تنصب في سياق بناء مجتمع سلمي قائم على العدل والتعايش، أفراده مواطنون متساوون أمام القانون، ومعترف بحقوقهم دستورياً . إذ بات من المسلم به أن المجتمعات ذات الطابع المتعدد الانتماءات والعقائد واللغات والثقافات (كسوريا نموذجاً)، لا يمكنها المحافظة على وحدتها وأمنها واستمرارها، ما لم تقم على مرجعية تعاقدية صلبة تضمن لها البقاء والتعايش، وتمنع تكرار مظاهر الإلغاء والعنف والتفرد في الحقوق والقرار السياسي.

التعايش والسلم الأهليين مفهومان مدنيان نسبيان، من ضمن حزمة من الحلول العصرية التي تماهت مع مفهوم الدولة الحديثة الناشئة بعد الحروب العالمية، والتي أدت لفرز أنظمة أكثر استمرارية وقدرة على تماسك المجتمعات، والحفاظ على بقائها وديمومتها وهدوئها. هذان المفهومان يعتبران من المسوغات التي تمنح النظم الديمقراطية المدنية الحديثة قبولاً وانسجاماً.

قد يكون فشل كل الجهود لوقف دوامة العنف بين أطراف النزاع السوري (العقل السياسي السوري المتنازع)، دليلاً على غياب الأفكار وقبول الحلول القائمة على التعايش والسلم الأهلي، اللذين يعتبران من أولويات وقف أي صراع، ومن ثم التمهيد لصياغة عقد اجتماعي وسلام مستدام، عبر تطبيق العدالة الانتقالية وغيرها من متممات العملية السلمية.

من نافلة القول؛ الإقرار بأن التعايش والسلم الأهليين سمة أو قيمة عصرية لكل مجتمع يرغب بحياة مدنية ديمقراطية مستدامة، يضمن لكل إنسان أو مذهب أو عرق أو طائفة أو دين حقه في ممارسة حريته ونمط حياته وبناء مؤسساته المدنية، بهدف تطوير ذاته وكيانه، تلك المؤسسات التي طالما كانت تعبر عن روح المجتمع الذي ولدت له ولأجله، والتي كانت غائبة في سوريا طيلة العقود الماضية، حيث لم تشهد الحياة المدنية فيها يوماً، تنظيماً أو تجمعاً مدنياً حراً.

تأتي أهمية هذه المنظمات أيضاً في المساهمة بحل القضايا الاجتماعية العالقة، وفي نشر ثقافة التعايش والسلم الأهلي في بلد مثل سوريا، خاصة في المناطق ذات المكونات المتنوعة، والتي ينبغي أن يكون التنوع والتعدد مصاناً فيها، لأن ذهنية التباغض والاقتتال حالت تاريخياً دون قيام تعاقدات مجتمعية ثابتة، تمهد لسلم أهلي ضامن، من أجل الحفاظ على خصوصية كل فرد وكل مكون من الضياع، تنقل معها الديموغرافية السورية المتنوعة إلى حالة اجتماعية راقية، تنهي حقبة من العنف والحقد والعماء السياسي.

العمالة السورية في إقليم كردستان العراق

فرص متاحة وعقبات متعددة

حسين خليل

ازدادت هجرة اليد العاملة من المناطق ذات الغالبية الكردية (الجزيرة، كوباني، عفرين) في سوريا إلى إقليم كردستان العراق نتيجة لسوء الأوضاع وانخفاض الحالة المعاشية اليومية، حيث استحالت ديمومة العيش وسط انحسار فرص العمل بشكل شبه تام، وفقدان الليرة السورية قيمتها الشرائية، إلى جانب الارتفاع الكبير في أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية نتيجة الحصار الذي فُرض على المناطق ذات الغالبية الكردية من عدّة جهات.

أفضل الخيارات المتاحة أمام اليد العاملة كانت تركيا وإقليم كردستان العراق، فشكلتا مقصداً لجلّ العمالة السورية الوافدة، حيث اختارت غالبية اليد العاملة التي وفدت إلى الإقليم الكردي مدينة هولير/أربيل عاصمة الإقليم السياسية والاقتصادية وجهةً لهم، حيث تشهد المدينة نهضة عمرانية وتنموية لافتة، توفر العديد من فرص العمل وبمردود جيد يتيح للعمال موارد مالية لرفد عائلاتهم في الداخل السوري، وذلك لتغطية جزء من المصاريف أو كلها تغنيهم عن الحاجة في إدارة حياتهم اليومية.

الأعداد الكبيرة للعمالة الوافدة إلى الإقليم خلقت مناخاً آخر في إدارة عملية تشغيلهم، فازداد العرض مقابل الطلب من جهة العمالة، وهنا بدأ الاستغلال من جانب أرباب العمل، وبدأت معه معاناة العمال الوافدين من ناحية المردود وتوفر الفرص، ناهيك عن أن العديد من الشركات في القطاع الخاص بدأت تستغني عن الأيدي العاملة لديها لأسباب وحجج غير مقنعة، إلى جانب عدم إيفاء التزاماتهم المادية تجاه العمال، علماً أن العمالة السورية يتم تشغيلها بدون عقود رسمية مع الجهات الراعية للعمل عكس العمالة التركية التي لا تعمل إلا بموجب عقود ودخول رسمي لأراضي الإقليم وذلك للعمل في الشركات التركية، فتضمن حقوقهم وبمرتبات تصل لضعف المرتبات التي تتقاضاها العمالة السورية غالباً.

خالد يعمل معلم سيراميك جدران وأرضيات، أب لولدين يقيم في السليمانية ويستأجر منزلاً، قصد الإقليم منذ عامين، يحصر أهم الصعوبات من جهة العمل في ندرة توفره بشكل دائم فيقول: «نعمل نصف الشهر ونبقى في النصف الآخر دون عمل» إضافة لتأخر الشركات في دفع رواتبهم المستحقة، وتعرض العمال لعمليات احتيال من قبل المتعهدين، الذين يتقاضون أجور العمال كاملة من أصحاب العمل ثم يغادرون الإقليم، وهم غالباً متعهدون أتراك ومنهم إيرانيون، وفي حال تقديم شكوى لدى شرطة الإقليم «آسايش»، يكون هؤلاء خارج أراضي الإقليم، فتضيع حقوق العمال.

لمعاناة العمال وجه آخر لجهة الغلاء الكبير في الإقليم حيث يشير خالد إلى ذلك بقوله: «حتى اليوم لم أستطع توفير مبلغ من المال وما تقاضيته حتى الآن يغطي أجرة المنزل والتنقل ومصاريف المعيشة، دون أن أتمكن من توفير القليل من المال يعيلني حتى نهاية الشهر في حال لم أتمكن من العمل في باقي الأيام». يضيف خالد «في العام الأول عملت في هولير وكنت أتشارك وعمال آخرين في السكن قبل أن تأتي عائلتي، حينها كان بالإمكان توفير بعض المال، وهذا حال كل العمال هنا».

مهند خريج قسم الجيولوجيا من جامعة دمشق اشتغل كعامل عادي وفي أكثر من حرفة حتى استطاع مؤخراً التعاقد مع شركة نفط ضمن اختصاصه في هولير، أمّا خالد دريعي ماجستير اقتصاد من جامعة دمشق يفيد بأنه تقدم لمسابقة في جامعة «جيهان» بهولير «نجحت في المقابلة ولكن كان شرط التعيين الأساسي إقامة رسمية في الإقليم وأنا لا أملكها»، يعمل دريعي الآن في شركة «B2B» في مجال المواد الغذائية ومطاعم الوجبات السريعة، ويقول: «لا يمكن أن يمضي أحدنا عمره في الدراسة والتحصيل العلمي ليعمل كعامل عادي، لدي طموحات كبيرة ومن غير المعقول أن تذهب أدراج الرياح»، إن «العدالة تضيع يوماً بعد آخر».

حسين أبو عمشة معلم نجار بيتون جاء إلى مدينة هولير مع عائلته منذ عام يعمل ضمن ورش بناء في القطاع الخاص يقول: «إن التميز بين العمال أمرٌ غير منصف، فالعمالة التركية تقبض ضعف العمالة السورية، علماً أننا نتقن المهنة أفضل منهم»، قدم حسين طلباً للجوء منذ قدومه إلى الإقليم ليسجل في قوائم اللاجئين حتى يتمكن من الحصول على المساعدات الإغاثية الخاصة باللاجئين، إلا إنه لم يستلم شيئاً من تلك المساعدات، وهي حال معظم اللاجئين السوريين خارج المخيمات. وتجدر الإشارة إلى وجود ما يقارب المائة ألف لاجئ خارج المخيمات في الإقليم حسب احصائيات غير رسمية.

معاناة العاملين السوريين في الإقليم كثيرة، تتركز أهمها حول تبني أرباب العمل سياسة خفض الأجور بالتوازي مع ارتفاع أسعار أجارات المنازل والتنقل، إضافة لصعوبة الحصول على الإقامات ووقف إصدارها نهائياً في الآونة الأخيرة، وكذلك الصعوبات في إيجاد مسكن ملائم، والعثور على أحد مواطني الإقليم الذي يقبل كفالة العائلة لدى الجهات المعنية في حكومة الإقليم حتى يتمكنوا من استئجار منزل والإقامة فيه.

شار تحاور الإعلامية الشابة منال محمد

في أجواء الاحتفال بعيد الصحافة الكردية، وفي ظل تعدد القنوات الإعلامية الكردية وتنامي صناعة الإعلام ضمن الحيز الجغرافي الذي نعيش ضمنه، هل تعتقدين أن الإعلام الكردي الخاص بالكرد في سوريا بات أداة فعالة للتغيير والتنمية وترسيخ التعايش، أم أنه ما زال أسير النزعات الحزبية والأيدولوجية؟

بعد مرور ١١٦ سنة على صدور أول جريدة كردية، لا يخفى عن أحد، أن ولادة الإعلام الكردي، بدءاً بجريدة «كردستان» ومروراً بمجلتي «هاوار» و «روناهي» لم يكن بقرار حزبي، بل كان نتيجة إحساس وطني وقومي لدى الرعيل الأول من النخبة الكردية المثقفة. ومنذ ولادة أول حزب كردي في سورية سنة ١٩٥٧ وحتى الآن، فإن انطلاقة الغالبية العظمى من المؤسسات الإعلامية المقروءة والمرئية والمسموعة، كان بقرار سياسي حزبي. كما ظهر في السنوات الأخيرة ما يمكن تسميته بالإعلام الموازي للإعلام الرسمي الحزبي، بحيث تجد مؤسسة تعلن عن نفسها على أنها مستقلة ومحايدة، إلا أنها تخدم وتسوّق لأجندة سياسية حزبية معينة.

من المؤسف القول بأن الإعلام الكردي لم يسعى ليكون بمثابة «سلطة رابعة» تعبّر عن وعي وإرادة وسلطة المجتمع، وتمارس دورها الرقابي والتنويري والنهضوي السياسي والاجتماعي والثقافي، خارج السياقات الحزبية التقليدية. الإعلام الكردي في غالبيته، رهين وعي وتقاليد حزبية، ولا يمكن الحديث عن إنجازات لافتة ونوعية خارج هذا السياق.

الكرد يعيشون فوضى إعلام، وتهافت إعلاميين، وخطاب إعلامي شديد التحزّب، حتى يمكن القول أن الكثير من المواقع الالكترونية الكردية التي يديرها أشخاص، باتت هي الأخرى تحت السيطرة والاستثمار، ولا تشذ عن القاعدة. صحيح أن هنالك طفرة على الصعيد التقني، لكن الذهنية الحزبوية هي ذاتها، لم يتغيّر فيها شيء.

وقياساً على واقع الإعلام الكردي ودوره في الشحن والتأليب والتطاحن الحزبوي المقيت، ليس أمامنا إلا التحسّر على أيام جريدة كردستان ومجلتي «هاوار» و «روناهي»، حين كان الإعلام ينطلق ويُدار بجهود فردية، قومية ووطنية صادقة، هاجسها خدمة الكرد وقضيتهم والنهوض بهم قومياً.

أغلب الداخلين على خط الإعلام والصحافة ليسوا من خلفيات أكاديمية إعلامية (وأنت منهم)، هل تعتقدين أن هذا يولد إشكالاً، أم أن آفاق الإبداع والتميز غير قابلة للاحتكار؟

اعتقد أن مهنة الإعلام تعتمد على الموهبة والخلفية الثقافية بالدرجة الاولى، ومن المهم والضروري أن يكون الإعلامي غير الأكاديمي على دراية بمبادئ وأسس ومعايير العمل الإعلامي، للابتعاد عن الاعتباطية والعشوائية. فالتحصيل العلمي والإجازة الجامعية في حقل الإعلام، مع انعدام الموهبة والتراكم الثقافي، لا يمكن أن ينتج إعلاميين ناجحين. وهنالك عشرات الأمثلة في الإعلام الكردي والعربي والعالمي، لصحافيين وإعلاميين ناجحين وبارزين، وصنّاع للرأي العام، لا يحملون إجازات جامعية في حقل الإعلام، بل هم إعلاميو خبرة وموهبة، وأصحاب تجارب يعتدّ بها. وهنا، يمكن الإشارة إلى وجود مسألة مهمة وهي افتقار الإعلام الكردي للتخصص، بحيث تجد صحفياً يكتب في السياسة والأدب والرياضة وشؤون المرأة ... إلخ، فيتشتت جهده، ونادراً ما نجد صحفياً أو إعلامياً يمتلك من الخبرة والحرفية التي تخوله الكتابة في كل مجالات العمل الإعلامي.

هنالك من يشير إلى أن ظهور المرأة الكردية أو العربية أو السريانية كمذيعة أو مقدمة برامج أو محاورة، ليس إلا نوعاً من المتمات الجاذبة للجمهور أو «الديكور»، كيف يؤثر هذا على نمو دور المرأة بشكل عام، ومشاركتها

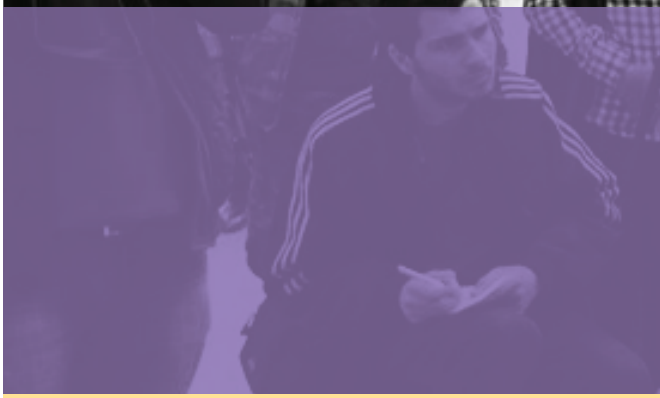

في الشأن العام، أم أن الصلة مفقودة في هذا الصدد؟

إذا اعتمدنا فرضية «الديكور»، هذا يعني أن وجود المرأة في الحقل السياسي والعسكري والثقافي الكردي، هو أيضاً مجرّد ديكور. واعتقد أنه في ذلك اجحاف بحق المرأة الكردية ونضالها من أجل نيل حقوقها. في الوقت عينه، وجود المرأة في حقل الإعلام، لا يعني أن المجتمع قد أنجز قفزة نوعية على صعيد تحرر المرأة ونيلها لحقوقها. فرغم وجود المرأة اللافت في المؤسسات الإعلامية الكردية العراقية، لا زالت معدلات ممارسة العنف مرتفعة جداً في كردستان العراق. حتى أن المرأة التي تعمل في حقل الإعلام، أحياناً تتعرّض للمضايقات والاستفزازات والابتزازات ذات الطابع الذكوري الفجّ والوقح. لكن لا يمكننا التعميم، فمجرّد وجود هذه الظاهرة، مؤشر على مدى الزيف والخداع والادعاء الموجود في التكوين النفسي والمعرفي لدى البعض ممن يعملون في الحقل الإعلامي.

في الحقيقة هذه القضية مرتبطة بكامل المجتمع، ولا شك أن حضور المرأة بهذه الكثافة في مجال الإعلام هي نقطة إيجابية حتى لو كانت - في بعض الأحيان - من قبيل الإكسسوار أو أداة جذب. دون أن ننسى بأنه يجب على الإعلامية أن تكون ممتلكة لحضور لائق ولبق، إلى جانب قوة الشخصية التي تدعم الموهبة. فهناك الكثيرات ممن اثبتنّ جدارتهنّ في هذا المجال، رغم الصعوبات والمضايقات من جميع النواحي، حيث استطعنّ شقّ طريقهنّ، وأن تكنّ مشاركات

ومؤثرات في الشأن العام.

ماهي أبرز القضايا الملحة التي يجب أن يتبناها الإعلام حسب رأيك؟ بالأخص بالنسبة للكرد السوريين وباقي السوريين المقيمين في إقليم كردستان العراق؟

ضمن هذه الظروف، وفي ظلّ وطن غير حر، دوماً يجب المطالبة بصحافة حرّة، وعمل أكاديمي على أعلى المستويات. التحجج بالظروف وضعف الإمكانات للتغطية على رداءة الأداء الإعلامي؛ أرفضه شخصياً. وفي هذه المرحلة الحساسة والفارقة في تاريخ السوريين، والكرد على وجه الخصوص، مطلوب من الإعلام الكردي أن يكون موضوعياً، قدر الإمكان، ويسعى إلى التهدئة بدلاً من التوتير، وتنقية الأجواء بدلاً من تسميمها، وتوحيد الصف الكردي وليس تشتيته أكثر مما هو عليه، وأن يعمل على تكوين صورة جيدة عن الكرد في الإعلام العربي، ويكون منحازاً لقضايا الإنسان والمجتمع، وعدم الانغلاق في إطار الأيديولوجيات والنزعات القومية والحزبية المتشددة.

كيف تقيم منال محمد تجربتها في الإعلام؟ ما حجم طموحك كشابة تطمح للارتقاء بعملها وإمكانياتها وأدائها؟ وهل أثرت الظروف الحالية سلباً أم إيجاباً على تجربتك الإعلامية؟

بما أن تجربتي الإعلامية لا تتجاوز السنة، اعتبر نفسي في فترة اختبار لقدراتي. وكفتاة كردية، كانت للأوضاع والظروف الحالية تأثيرها السلبي عليّ، وهي التي أجبرتني على خوض هذا المجال لكي أطوّر ميولي واهتماماتي في حقل الإعلام، وكوني خرجت من واقع مليء بالصراعات، على كافة الأصعدة، وفي ظل مستقبل غير واضح المعالم، وواقع كردي مشتت، أسعى لتقديم رسالة تحترم أخلاقيات المهنة، وتكون في خدمة الإنسان، ولا تبرر الوسائل للوصول إلى الغايات. في حال حققت ذلك، حينها فقط أكون جديرة بصفة (الإعلامية).

طاعون واحد خير من حريتين !

يوسف شيخو

في لحظة ما، ودون إخطار سابق، تبعث السماء بقَدر، يلبس ثوب نجم مذنب، متخذاً مساره إلى إحدى حدائق المدينةً المطلة على شاطئ بحر مقيد. إنها علامة سوداء، طالع نحس أثار خوف

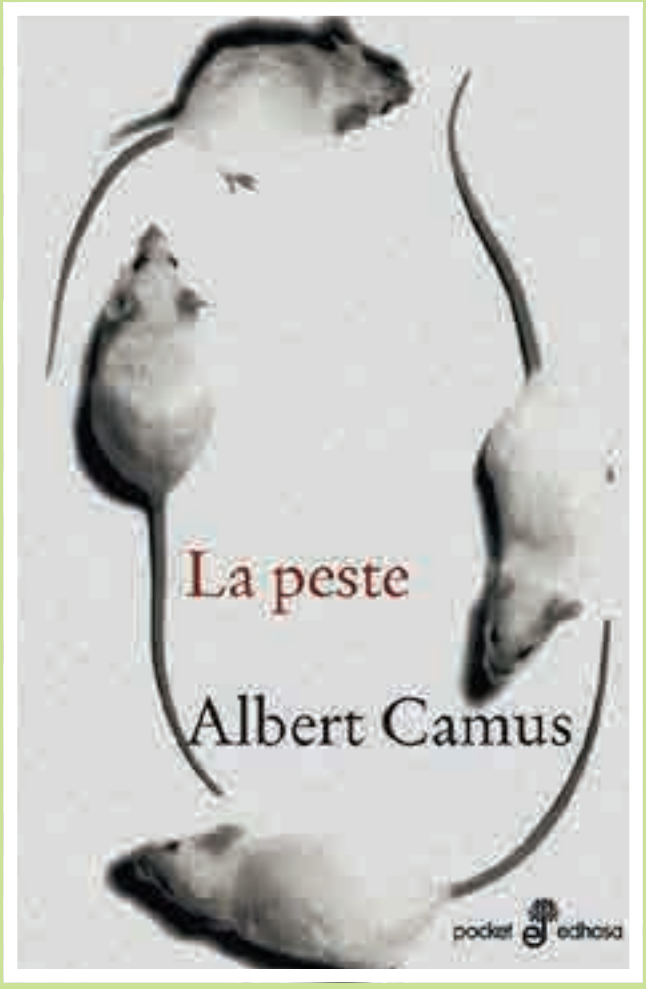

الرعية، نذير شؤم دفع بعرّاف المدينة إلى التنبؤ بأنهم مُقبلون على القحط والمجاعة والموت. إنه «الطاعون»؛ الذي ما إن دنا «بلغ من كثرة الموتى أن يعجز الأحياء على دفنهم جميعاً». ربما كانت اللحظة التي من شأنها هز عرش الحاكم، قبل الرعية؛ الذين يتساقطون واحداً تلو الآخر.

من واجب القاضي العام تحذير الحاكم، إخباره أن الوباء ينتشر بسرعة في المدينة، وإنه فاق جميع تدابير الإغاثة، لكنه يقترح إخفاء الموقف عن الشعب. الخبر ضايق الحاكم وأفسد عليه رحلة الصيد. لكن رغم ذلك، استعد للمواجهة، وأمر بإصدار قرار يقضي بحظر التجمع العام، مبشراً بأنّه يكفي أن تهب الريح من البحر حتى ينتهي العدو. وبينما مجلس الحاكم منعقد لبحث ما استجد، يظهر شخص غريب، بشكل مفاجئ. إنه العدو الجديد. هو الوباء القادم طلباً للحكم «الطاعون». يطلب من الحاكم مكانه، منصبه، كرسيه. يمنحه ساعتين لنقل السلطة إليه، وليثبت قدرته على استلاب الحكم بالقوة؛ يأمر مساعدته، أن تشطب اسم أحد حراس الحاكم من دفترها، فيسقط أحدهم بالفعل، قضى بالمرض.

ها هو طالب الحكم يعرض قدرته على هز العروش. ورغم برهانه على إنه قوي بما فيه الكفاية ليقيل الحاكم، يستمر الأخير في رفضه التنازل عن عرشه. لكن في النهاية «ما من خلل لا يستعصي علاجه، ما من خطأ إلا هان إصلاحه، وما من موعد لم يتحقق إلا تيسر تعويضه». وقبل أن تشطب المساعدة اسم أحد القضاة، يسأل الحاكم عدوه عن إمكانية إبقائه وأسرته على قيد الحياة، حال تنازل له عن العرش، وهو الأمر الذي يقبله الحاكم الجديد: فهي عادة متبعة.

اتفق الطرفان وأبرمت الصفقة، يتنازل الحاكم عن السلطة، يفر كأي مستبد، ليست له نيّة في التنازل عن العرش إلا في حال واجه قوة فاقت قدراته، وعُنف تخطى دمويته. وفيما يتناقل البسطاء من العامة خبر انتقال السلطة، يتساءل

مُنقادة للعواطف». مدينة الطاعون تمنح مواطنيها الأراضي وتمنعهم من استخدامها، تُخيّرهم بين العيش على ركبهم أو الموت وهم واقفين؛ في النهاية اندمج الشعب، تَروّض، وبات بمقدوره الترديد: طاعون واحد وشعب واحد؛ طاعون واحد خير من حريتين.

لم يَنسَ الحاكم وأد العواطف حرصاً على استقرار النظام. يمنع الحب، يحظره على العاشقَين «دييغو» المصاب بالوباء، و«فكتوريا» حبيبته، التي

«نادا»، وهو سكير المدينة، عن الفرق بين الاثنين، على اعتبار أنه في حال حكم أي منهما سيبقى الواقع كما هو. لكن، ورغم النتيجة، ترى الرعية مندهشين من تصرف حاكمهم الذي أبقاهم لذاك الضباب «القبيح» المتكاثف، ضباب «يذهب ببهجة الموسم ويخنق مرح الصيف». بدأت الحقبة الجديدة، ومعها ستوزع جميع المواد التموينية على الأهالي الذين يثبتون انتسابهم لنظام الحكم.

لابدَّ من قوانين جديدة، وعلى رأسها حظر التجوال بعد التاسعة مساءً، وكلُّ من يخالف هذه الأحكام سيعاقب وفقاً للقانون الجديد. كما يُحظر مساعدة من يصاب بالوباء، بل يجب إخبار السلطات عنه لتتولى أمره. وإذا أبلغ أحدهم عن أفراد أسرته، من المصابين بالمرض، فإن له حصة مضاعفة من المواد التموينية، والتي توصف في النظام الجديد بـ «النصيب الوطني». فالحاكم الجديد يحب الرعية سعداء حسب فهمه هو للسعادة.

يتوجه الزعيم إلى الشعب لإخطارهم بأنّه لا سيادة لغيره، قصره ثكنة، وخيمة صيده ساحة للقضاء. لقد أُعلنت حالة الطوارئ، بدأ تنفيذ الأحكام العرفية، لابدَّ من تقنين طرق الموت، وتعليم الرعية كيف يموتون. سابقاً، كانوا يموتون وفق نظام ثابت، بسبب الطقس الحار، لأنَّ «ثمّة بُلهاء يقتلون طلباً للكسب أو دفاعاً عن الشرف». بعد الآن ستخضع كل هذه الفوضى للانضباط، بحيث تكون ثمّة ميتة واحدة للجميع.

وفي العموم، تكون الانتخابات حرة، لكن الأصوات المعادية للحكومة ملغاة، لأنها «ليست حرّة، بل

عبد الكريم مجدل بيك

تترجاه أن يُعديها. يحاول العاشق أن يبتعد عنها، متوجهاً إلى البحر ليغادر المدينة، ليهرب، وهو الأمر الذي اكتشف لاحقاً، أنه محظور في دولة الطاعون. يؤكد الشاب المتمرد امتلاكه قوة تفوق نفوذ نظام الطاعون وجبروته، قوة ناتجة عن «خوف وشجاعة». يحاول «دييجو» أن يشعر سكان المدينة بقوتهم، ويدعوهم إلى المواجهة، يردُّ السكان بالرفض تمسكاً بالخبز. وحين يشعر «الطاعون» بالخطر، تجده بدأ حملته، تواقتاً مع اقتناع الشعب بضرورة المواجهة. وبينما تعجز مساعدة الحاكم الجديد عن قتل هؤلاء، تتوجه إلى الشعب لتخاطبهم: «إن نظاماً مستقراً هو أقل ضرر من تبديله، وإن صلحاً مشرفاً أفضل أحياناً من نصرٍ كاذب».

يمرُّ الوقت، و«فكتوريا» تحتضر، ما أجبر «دييغو» على تقديم عرض مُغرٍ للطاعون؛ فالشاب مستعدٌ لتقديم روحه لقاء إعادتها للحياة، غير إن الثاني يستبدل العرض بإحيائها والسماح لهما بالهرب مقابل تركه يسوي أموره مع المدينة: «صحيح إن عشر سنوات مع هذه المرأة أفضل من قرن من الحرية لهؤلاء الناس»، لكن العاشق مُقتنع بأنَّ «حُبَّ هذه المرأة هو مُلك له، لكن حرية هؤلاء هي مُلكٌ لهم». وأخيراً تُبرم الصفقة، يتفق «الطاعون» و«دييغو»؛ يترك الأول المدينة لقاء روح الثاني بعد تعذيبه. إنه البحر، ذاك المُنقذ، الذي طوى حقبَ الكثير من الحكومات «البحر بلدٌ لا جدران له ولا أبواب، فالوباء يكره البحر ولا يريد أن نعود إليه».

إنها «حالة طوارئ»، كثيرةٌ هي التأويلات، التي قد يخرج بها قارئ هذه المسرحية أو مشاهدها؛ وهي تُجسد على الخشبة. تعيش معها الحب، تعاني الاستبداد، تذوق طعم الخيانة، تختبر الإرادة وتواجه الموت. لكن، في النهاية، ستجد نفسك مضطراً لملاحقة تلك الخطوط التي رسمها الفرنسي ألبير كامو، والذي تعد مسرحيته هذه امتداداً لروايته «الطاعون». ذاك الوباء الذي يمنحه كامو صور كوارث وأوبئة تشمل الاستعمار والديكتاتوريات، وقهر الإنسان للإنسان.

(في وداع هريرة)

انطباعات الطريد

عمار عكاش

١ - مدن:

تتساوى المدن الكبيرة والصغيرة والوسطى، مثل بائعات الهوى تتقدهنّ أجر ساعاتهنّ من جسدك و روحك.

٢ - مشروع حب :

يتلبّك المكان بك، تتذرّرُ قشورُ الجلد بين شعيرات صدركَ، كالجدارِ الرطبِ يتساقط كلسه عند أوّل إظفر أنثوي يحكّه،.. وبعد قليل تتركك وقد مرّغتَ أنوثتها في الوحل ... لم تحرّكْ قدميكَ من مكانيهما قيد أنملة ...

٣ - قهوة:

قهوةٌ شقراءُ باردة، مثل الشقراوات المنحوتات بكلِّ الكمال، ينقصهنّ هال الشهوة، وشيءٌ من سَمارِ الجنوب.

حسكو حسكو

٤ - اسبرسو:

تدخل المقهى تلقي على النادل سريعاً ما تريد، تريدها مكثّفةً مثل يوميّات الحرب، تأتيك ممدّدةً لا تلدغ سقف حلقك بمرارها، وكل مرّة تطلبها تشدُّ على سكون السين وتمطّها «إيسبريسو» كي يفهمكَ النادلُ، وتستطيل السين، وينعقد لسانك حول رقبتك كالأصلة ... وتحشرج ...

٥ - سوبر ماركت:

تدخل، تدور، تحوّم، وكأنك لا تعرف ما كنت تأكل وما ستأكل، وعند صندوق الحساب، تبتسمُ لك أرملةٌ، وتضاحكك صبيّةٌ، وثالثةٌ تتذمّرُ من صخب السوريّين، احتشدوا وتلعثموا مرّةً أخرى، ما بين حروف عثمانيّة بائدة، وحروف صوتيّة تتقلب الحسناء إلى شمطاء ... والسوريّونَ يتحدثون ببراءة لا يدركون فداحة جرمهم بحق اللغة. يتذمّرون من بلادة التركية، وتتذمر هي من حمق السوريين.

٦ - جنس:

أول مرة تُجرّبُ معنى الجسد، حرّاً من فخاخ اللغة، جسدٌ لجسد، صوتٌ وآهةٌ وما من لغة، لا معنى للكلام العاطفي أو الهمس الفاحش ... بعد لقاءين ترطُنُ بالتركية، وترطن هي بالسورية ... متى التفّ لسانان في أدغال الشهوة، انسكبت اللغة وسال الكلام كالحليب الخارج من ضرع ماعز في موسمها.

٧- على سفرٍ:

على الطريقِ بين أنطاكيا والريحانية، حين كان الجرح فتيّاً، ينزُّ دماً وأملاً، انحرف رأسي وصديقي يمين النافذة وسَهمنا، قالت سيدة من عرب الجنوب ببسمة قرويةَ فطرية:

أأنتم سوريون.؟!

أجبتها: وكيف عرفت يا أختي؟

ابتسَمَتْ وكأني طفلها؛

السوريون شعب يرمق الحدود من نوافذ ا لحا فلا ت .

٨ - سائق التكسي:

سائق التكسي أراد أن يكسر اللغة والسأم، خاطبني بمزيج من رقص اليدين وهدوء اللغة: أتثلج لديكم في سوريا؟!، لماذا تحبّونَ القهوة ولا تحبّون الشاي؟ ... من أين سبيتم كلَّ هاتيك النسوة الجميلات؟ ... هل لديكم سيارات أجرة، وهل هي صفراء ...؟

شام شريف، هالاب.

ابتسمتُ:

نعم سيّدي لدينا كل هذا، حتى أننا نحبُّ نساءنا ونضاجعهن، ولا نضاجع جمالنا التي عَقَلناها عند مداخل عماراتنا ...

٩- صخب:

يصخبون في الشوارع، و يشوشون نوابض ساعات الأتراك المضبوطة بدقّة كي لا تفوتهم قطاراتهم، يعيدون تشكيل المدن، ويلفظونها وتلفظهم كلَّ ساعة، يلعنونها وتلعنهم، كل يوم كل ساعة.

غازي عنتاب ٦ نيسان ٢٠١٤

الشعر الكُردي الحديث، ثورة التراث واللغة

خوشمان قادو

مرحلة الشعر الكُردي الحديث، كمفهوم يحدد نمطاً معيّناً، بدأت عام ١٩٣٠م، وانتقل معها الشعر الكُردي إلى عالم لم يكن غريباً عنه أبداً، تغيرت معها صورة القصيدة آنذاك، لكن في نفس الوقت بشّرت بولادة شعور جديد ليكون بذلك أقرب إلى الحداثة، التي انتشرت بشكل عميق في المجتمع كصيغة للتقدم الفكري. لم يكن بالعمل السهل التمهيد أمام الوعي الكُردي في تقبّلها، خاصة قصيدة النثر، لأن غرق الوعي في الوزن، القافية، الإيقاع والموسيقى جعله يعيش في مثل تلك الحالة من خلال ما ورثه من الكلاسيكيين. لذلك دخلت الحداثة مرحلة قطع من ثلاثينيات القرن المنصرم حتى بداية الثمانينات من القرن ذاته، ومحاولات بعض الشعراء في تلك الفترة لم تستمر في طورها الطبيعي، لاسيّما الشعراء الكُرد السوريين.

الثورة الشعرية الحقيقية التي هزّت بنية الوعي الكُردي دون أي مقدمات فكرية، مع العلم أنها لم تكن حسب معايير علمية أو مناهج عقلية وفكرية، إلّا أنها استطاعت أن تؤسس لثقافة أدبية، كانت بعد الثمانينات من القرن العشرين، فأصبح الوعي أداةً لمعرفة الهوية الكُردية، وكلّ شيء خضع لتأثير ذاك المفهوم الجديد، وأصبح الأدب الساحة الأوسع استيعاباً لتلك المعركة، ومعها تعالت الأصوات للتأكيد على الذات الكُردية، حيث أنّ الذات الكُردية النقدية لم تكن قادرة على انتهاج الحيادية في توجهاتها. يعود سبب ذلك إلى خضوع الذات الفردية للذات الجمعية في مجتمع طالما كان الكُرد فيه مضطهدين، لذا كان مِنَ الضروري أن تكون الحداثة مرافقة لمكونات الأدب والثقافة في المجتمع ذاته، فأدرك الشاعر والأديب الكُردي بأن تراثه وفلكلوره غنيان جداً، ويعتبران خزينة قيّمة يستطيع من خلالهما إنتاج أعمال أدبية رائعة.

لا بدّ من الإشارة إلى أن المرحلة الكلاسيكية للأدب الكردي تبدأ من القرن الخامس عشر، ظهر فيها شعراء مثل علي حريري، الشيخ أحمد نيسابي، فقيه تيران، ملا جزيري، أحمد خاني وآخرون.

أمّا مرحلة العصر الحديث للأدب الكردي فكانت مع نهاية الحرب العالمية الأولى، ويعود الفضل في ذلك إلى الصحف العديدة وإلى الجرائد التي سمحت للموهوبين الشباب نشر قصائدهم، والتعبير عن أفكارهم القومية والاجتماعية، منهم كاميران بدرخان، جكرخوين، عرب شمو وغيرهم.

من جهة أخرى، كان للّغة دورٌ بارز في المشاكل التي ظهرت بشكل كبير في الأدب الكردي عموماً، حيث أن اللغة الكردية وبسبب الظروف التي عاشها الكرد في ظل محاولات طمس لغتهم وثقافتهم وأدبهم، وكذلك غياب مؤسساتهم العلمية والتربوية ومدارس خاصة لتعليم لغتهم، لم ترتق اللّغة الكردية إلى مستوى لغة الأدب والنقد إلّا مؤخراً، وذلك لأن معظم الكتّاب الكرد فضّلوا كتابة مؤلفاتهم باللغة العربية (لغة القرآن) أو الفارسية والتركية.

رغم الامتداد التاريخي للأدب الكردي، وخاصةً الشِّعر الذي بدأ مع المنشدين أو كما يُسمّون في اللغة الكُردية «Dengbêj»، الذين تناقلوا الأدب الكُردي بألسنتهم إلى يومنا هذا، وكانت

قصائدهم في قمة الصور الشعرية وبلغة نثرية غير منحوتة، كأنّ الحداثة أتت لتكتشفها، فإننا نتحسس مدى انقطاع الأديب والشاعر الكردي عن روح ذلك النمط الأدبي الفريد من نوعه.

كانت معظم القصائد في المرحلتين الكلاسيكية والعصر الحديث بعيدة كل البعد عن ذاك النمط، ولم يحاول أحدهم الاستفادة من ذهنية وصفاء مشاعر وحواس الـ (Dengbêj)، لذا كان هذا السبب كافياً في توجه الشاعر والأديب الكُردي إلى هذا النمط الذي يحمل بين طياته الكثير من الصور السوريالية والتعبيرية وغيرها، لينهل منه قدر المستطاع، فهو يكفي لعشرات السنين من الكتابة الإبداعية لمن يريد أن يبني أدباً عريقاً لا يشوبه ضجيج المدنية وغبار السياسة.

في الآونة الأخيرة ظهر العديد من الشعراء الذين يعتبرون سليلي هذا الأدب (المبني على الأدب الشفاهي)، فكانت لتجاربهم محاولاتٍ فريدة، تُربك المشهد في الوعي الكُردي أحياناً، وتفتح المجال أمام جرأة كان لا بدّ من الإقدام عليها سابقاً.

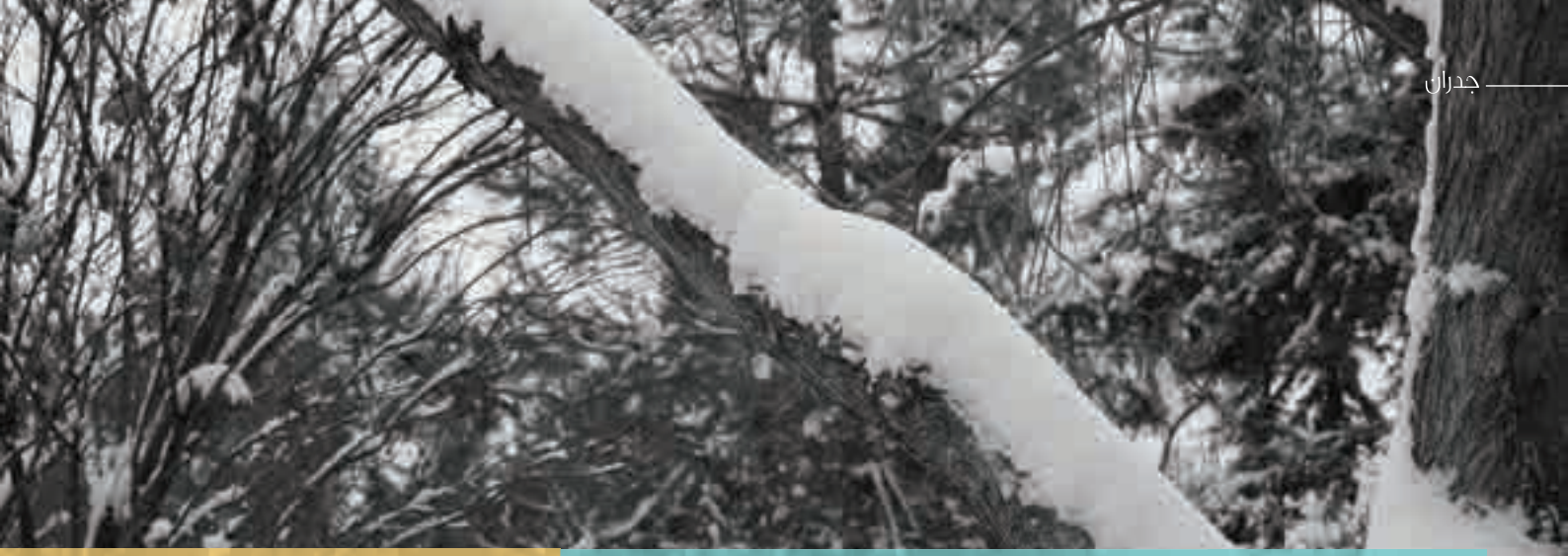

أحصنة النائمين بعينٍ مفتوحة

جكرحلو

1

داخل الكوخ

حصان كهل بنظارته المتصدعة

جالس إلى طاولة

تتوسطها مزهرية الخواء الباهت

صهيل مكسور في لهب الموقد

المشتعل على هامش الصيف

حبة كستناء متفحمة تدحرجت من يد سنجاب النار

إلى جوار زجاجة النبيذ الفائحة بفراغها

كوخ غبش في أقاصي الحلم

كأنه سكر الفجر يبدده نمل الصحو

2

نسوة يدقن الثوم الملح

لكوي جراح العائدين من الحرب

أما الذبابة

لتحط على جرح المشهد دفعة واحدة

تحط على عين الحصان الدامعة

دوما الحصان يذرف عن فارسه المنتصر

دمعة الهزيمة

3

في المشفى

يعدو الحصان الأسود في الممر الأبيض

تتفتحُ في الصّدى المريض لوقع خُطاه

نوافذ للموت،

نوافذ للحياة.

الطابق الأرضي من المشفى أبيض معتدل،

بما يليق بالمتوعكين العابرين

كُلما صعدت طابقٍ اشتد البياض

بما يليق بالنزلاء المتعافين

كلما نزلت طابق تكدر البياض

بما يليق بالنزلاء المحتضرين

في الطابق العلوي حصان أبيض يليق بجولة النقاهة،

في الطابق السفلي حصان أسود يليق بعربة التابوت .

ترهات الملاك الافتراضي

1

الريحُ المنذرةُ بمطرٍ الخريفِ الباكر، تُذكرني بجنازة أبي، العماتُ على التلّة متشحاتٌ بالسواد، والأرضَ كعهدها تكتمُ الجذورَ المضيئة لشجرة الحِداد.

2

من جديد يُعلنُ المساء أبوة التيه. عاجزةٌ لغتي عن التقاط الثمارَ القمرية لشجرة الليل الأقرب إلى دمي.

3

إنها الحافة المثلومة حيث بيوتٌ متلاصقةٌ، عديمة النوافذ كشقيقاتٍ عمياوات.

4

الخيبة هي الدويّ المالح لحبة الفستق العقيمة في فمك.

5

الغياب: هو أن تستيقظ متفقداً بلسانكَ السِّن الذي نسيت أنك اقتلعتهُ في الأمس.

6

أتعثر بزجاجة النبيذ الفارغة وأنا خارجٌ أتعثر بزجاجة النبيذ الفارغة وأنا داخلٌ

كل فكرة في دخولها

كل فكرة في خروجها

تتعثر بزجاجة ذهني الفارغة.

Facebook

مقداد خليل

في معظم الشرق يُنظَرُ إلى مخلوقات الافتراس – دون الأُسود – نظرةً جائرة عجلى مواربة، مضمونُها المبهم هو أنّها مسوخٌ سافلة. الغربُ متمهّلٌ متمحّص، فضوليٌّ ومفصّل في طبيعة تلك الكائنات.

في الشرق، في الأناضول المبتكرة للخوازيق (مثلاً) تُطعَنُ الذئابُ في سجاياها، يلقّبون بـ (الذئب) الدمويَّ الغادرَ في أودية المدن؛ المرتعدَ.

على نقيض ذلك نَسَبَ الجرمان مدينتهم إلى الذئاب (وولفس بورغ)، فيُخيَّلُ أنّ الفِراءَ الفضيّ الرماديّ الكثَّ، يتخلّلُ وقوراً، السبلَ والتخومَ، وقد تجرّدَت الأنيابُ والمخالبُ من فطرة الافتراس.

الخلاصةُ المستعجلة في الشأن الذئبيّ:

الشرقُ وحشيٌّ جبان،

الغربُ خنثى دونما رحمة.

Rand Sabbagh

منذ ٩٩ عاماً هرب جد والدي إيليا مع عائلته من ماردين ناجياً من المذبحة، ليسكن عامودا ومنها إلى الحسكة بعد أحداث «طقة عامودا».

ربما لم أعرف ماردين، أو عامودا، فيما عرفت الحسكة قليلاً من زياراتي لبيت جدي، إلا أني أحمل هذا الإرث دون شك، فكانت الحكاية تثير فضولي، وكنت استغرب دوماً عندما يأتي الحديث على المذابح سابقاً، فتذكر مذبحة الأرمن (التي يعترف بها العالم)، فأحاول إخبار الناس عن مذبحة موازية كانت بحق السوريين من السريان والآشوريين راح ضحيتها مئات الآلاف، بقي منهم الناجون ليخبروا الحكاية، فيما تمتلك الكنيسة بعض الوثائق عنها، إلا أنه ولسبب ما كان مطلوباً من الجميع الصمت عنها وتناسيها، ونادرون جداً جداً، من كانوا قد سمعوا بحصول مثل هذا الحدث يوماً (بالأخص في المدن البعيدة عن الجزيرة السورية).

لا يوم للذكرى في سوريا للمذبحة، ولا لمحة أو إشارة في كتب التاريخ المدرسية وغيرها، وحتى نحن لم نعرف عن المذبحة أكثر بكثير من كونها حصلت، وبعض القصص الضبابية عنها.

وهو أمر يدفعني دوماً للتفكير، حيث أن فئات ومجموعات كثيرة تعرضت لأشكال مختلفة من الاضطهاد وعلى أيدٍ مختلفة، إلا أنّ التاريخ لم ينصفهم ولم يذكرهم، ما ترك المجال للتداول الشفوي لها وما يحمله من لغط، ومشاعر شخصية، ووجهات نظر، وبالتالي ترك بدوره هامشاً لدى الضحايا ومجتمعاتهم للشعور بالخوف والقلق الدائمين، بالإضافة إلى الشعور بالغبن في ظلّ غياب العدالة التاريخية، واقتصار الأمر على (تبويس الشوارب)، ما جعلهم يحملون قناعةً دفينة بأنهم وإن تعرضوا لأية أذيّة فلن يكون هناك من يعترف بحقهم، ليصير الآخر أكثر رعباً، وتصير الجماعات أكثر تقوقعاً وانغلاقاً، فتظهر تلك المشاعر على شكل عصبية ما، قد تشكل قاعدةً جيدة لأيّ نوعٍ من الاقتتال أو الاختلاف مع الآخر، كما هو واضح!!!

وربما ما زال سؤالي قائماً، لماذا أرادوا لتلك الحكاية أن تُنسى؟؟

اليوم مذابحُ كثيرة شهدتها البلاد على طولها، فهل سيراد لها أيضاً أن تُنسى وكأنها لم تكن، ليكون أبناؤنا قنابل موقوتة تنتظر أي فتيلٍ لتشتعل ولو بعد حين؟؟

الحقيقة تُحرر الإنسان، وتدفعنا لفهم الآخر أكثر ... الحرية للحقيقة.

وطنٌ بِحجم صالون حِلاقة !!

حسن حليمة: «يصبحُ الشَّعرُ مجنوناً أحياناً وأنا أعيدهُ إلى صوابهِ المَفقودْ»

جوان ناز

نغمَاتُ عَزف على آلة العود يلِيْ ذلكَ صوتٌ رخيمٌ يَصْدَحُ ليجعلَ المحيطَ الصغيرَ رُكْنَاً شبيهَاً بمعبَد في إحدى المدن الإغريقيَّة القديمة، آلهَةٌ تتطايَر أسرارهَا وتتداخَل الألسنَةُ في نقاش محتَدِمٍ، جَلَسَاتٌ عابرَة لأناسٍ عابرينَ، يجلسونَ برهَةً يتبادلونَ خلالَها أسرارَ البلاد البسيطَة، قراءةُ قصيدة ضائعة لشاعرٍ ضائعٍ، أو مقطع من روايَةٍ مُغبَرَّة الصفحَات، أو استماعٌ مذهلٌ لقطعة موسيقيَّة، أو اختلاقُ نُكت وفُكاهات تُحْفَظُ في الأرشيف البشريّ لكلّ شخص جالس في دائرة هذا المكان، مجانينَ يقتعدونَ كرسي الانتظار إلى جانب العُقلاء، ليتمَّ تبادل الأدوار دونَما قَصد، فتبقَى القلوبُ أسيرَةً للذَّة ورونَق تلكَ الجَلَسَات، ربَّما الحنينُ هو من يحثُّ على استحضار مثل هكذا أمكنة، المكانُ غائباً/حاضرَاً، غائبَاً حيث أجسادٌ غادرت هذا المكان وحاضراً حيثُ أرواح تلك الأجساد لا زالت تُرفرفُ محاولَةً الفِكاكَ من ألَقِ وبهاءِ المكان!!.

في (عامودا) المدينة الصغيرة المليئة بالتناقضات والعلل النفسيَّة المتراكمة مجسَّدَةً على شكل لوثات عقلية متنقِّلَة، تنفجرُ فجأةً وتغدو طقساً ملازماً، نمطاً اعتياديَّاً للحياة اليوميَّة. صالون حلاقة صغير يجمعُ عالَمَاً أنموذجَاً وخليطَاً يبعثُ على الدفء والرّعب في آنٍ معاً. في هذا الصالون استمعنَا إلى قصائدَ كافافيس وريتسوس ومواقفَ النفَّري ومخاطباتهِ، وقرَأنَا لرَهط المُنتظرينَ كتَابات شعراء عامودا وتبادلَ الروَّادُ الكتبَ، وأقراصَ الموسيقا وأفلامَ السينَما والنُّكَات.

لو كانَ للمكَان ذاكرة، لو أنَّهُ تكلَّم فقط عن الغياب وعن تعاقُب الوجوه والأحاديث والمواقف، لكانَ للمكان صلةٌ تماثلُ تلكَ الصلةَ التي بينَ الدماغ والأعضاء البقيَّة في الجسم البشريّ، لا أوامرَ للذكرى والتذكّر بدون العصب النَّاقل، المكانُ عبارةٌ نالَت كثيراً من الدرس والتمحيص عبر العصور، مقاهٍ جمعت أدباء ومثقَّفين، دورٍ سينما ومسارح لمَّت شملَ أُناسٍ ناقشوا أموراً مُستعصيَة، والمكان الذي أتكلَّمُ عنه، أنا ابنٌ له هو (صالون الشاعر حسن حليمة)، ليسَ ذاكَ صالونَاً للأدب، إنَّما هو صالونٌ فقط للحلاقة الرجاليَّة، وكلُّ ما في الأمر أنَّ صاحبهُ شاعرٌ يكتبُ باللغة الكردية منذُ زمنٍ بعيد، واختارَ أن يكونَ حلَّاقَاً شاعرَاً وليس شاعراً حلَّاقَاً، ثَمَّة اختلافٌ في جوهَر القرار!!.

يبعُد منزل الفنان الكوميدي والتشكيلي (شيرزان) عن الصالون أمتار قليلة، خلال رحلة الذهاب والإياب إلى العمل في الإذاعة يمرّ بالصالون لتبدأ رحلة الصراخ لدقائق معدودة، نشاطٌ هذيانيّ يتألَّفُ من كلمات غير مفهومة، ترنُّح وضحكَاتٌ من الزبائن المنتظرين الجالسين بهدوءٍ أن ينهي (حسن حليمة) الزبون الجالس على الكرسي ليستعدّ الآخَر، حركاتٌ بهلوانيَّة وتعليقاتٌ على النشاطات الثقافية والسياسية في المدينة (عامودا)، هذه المدينةُ المسترخية والمليئة بالتناقضات والتي اشتهرت بمثقفيها ومجانينها وأناسها غريبي الأطوار والأحاديث، لم يشَأ حسن حليمة أن يشارِكَ في أيّ من النشاطات الثقافية التي كانتَ تجري في المدينة، فالصالون بالنسبة إليه حياة كاملة لا ينقصها شيء، يكتبُ بهدوءٍ ويقرأ بهدوء أكثر، يجتمعُ حولَه محبّو الشعرَ والأدَب والموسيقى والصراخ، فيتحوَّل الصالون إلى مركز موسيقي وشعري وأدبيّ وثقافيّ متنوّع، يضَمُّ كل ما يمكنُ للمرء أن يناقشَه أو يتلذذ بالاستماع إليه، وعلى الرغم من صغَر مساحَة الصالون إلَّا أنَّه يحوي عوالمَ متَّسعة وآفاقَاً للنقاش تَتَخَطَّى حدودَ النقاشات الضخمة، لتسبر أغوار التفاصيل الدقيقة للأشياء والمواقف والنظريَّات. حياةٌ كاملة مصغَّرَةٌ ومضمومَة في الحدود الإسمنتية

الأربعة للصالون؛ يقولُ الشاعر مازن الحسيني وهو من روَّاد هذا الصالون: للصالون ألفةٌ ما، ربما يكمن سرُّهُ في اجتماع جميل دونما موعد سابق مع أصدقاء ليبقى باب النقاش موارَبًا لكلّ ما يخطرُ في المخيَّلة من مواضيعَ مختلفة، وفيه تعرَّفتُ على وجوه كثيرة، ومازالت أمكنةُ الجلوس والجدران تتذكَّرُ البعض منهم بأدقِّ تفاصيلهم، بينما طوَت آخرينَ في ملفّ النسيان لا تتذكّرُهَم البتَّة؛ وما يستحضرني وأنا في صدد الحديث عن هذا المكان، بعض الانتقادات اللاذعة التي كانت تبقى لأيَّام شرارَةً لقهقهات تكرر نفسها لأسابيعَ طويلة.

أذكر حين كنتُ طالباً في الجامعة، كنت أبقى شهوراً في المدينة الجامعية ويستبدُّ بي الشوقُ، عند عودتي الى المدينة كنت أحيي والدتي ومن ثم انطلق إلى الصالون (وهذا حالُ كلّ الأصدقاء الذين كانوا يداومونَ في الصالون بشكلٍ مستمرٍّ، وكأنَّ الذكرى هُنا هي الحنينُ المُترجِمُ للفعل!!)، لأرى حسن حليمة واقفاً في ذات المشهد وهو يحلق لأحدهم (مشهدٌ بديع يماثلُ لوحةً تشكيليَّة ممزوجَةَ الألوان، حسن حليمة وهو واقف مع نصف انحناءَة منكبًّا على رأس الزَّبون المسترخي على الكرسي واثقاً من أنامل مَنْ يَحلقُ)، وفور رؤيته لي يبدأ بالصراخ والضحك والمزاح، ليخلق بذلك جواً آسِرًا في التعبير، كل من جَلَسَ في هذا الصالون أدرك ولا

يزالُ حتَّى وهو بعيد عن هذا المكان، أنَّهُ يومًا ما سيعودُ الى هذه الرقعة المتعة من بلادٍ منسيَّة، (محمد خانيصوري) أحد روَّاد هذا الصالون على الرغم من ابتعاده عن سوريا وإقامته في الخارج، يقول عن هذا المكان: «صالون حسن حليمة كانَ يعني لي الراحة التَّامَّة، يعني لي حرية لا مثيل لها حيث تشعر بكل شيء جيد هناك». ويقول عازف الفلوت أحمد قافور وهوَ خارجَ المكان الآن: «لقد كان الصالون مكانًا لاستشاق الأوكسجين، نلتقي فيه بالأصدقاء، إنَّهُ مكانٌ شبيه بتجمّع سحريّ حيثُ تعثر فيه على كلّ الأصدقاء الغائبين، إنْ لَم تلقَى جسدهُ فَحتمًا سَتَتَعَثَّرُ بروحه الهائمة في أرجاء هذا المكان!!، فالصالونُ يتحوَّلُ بشكلٍ عادل وفقَ اهتماماتَ الحاضرين، سياسة، اقتصاد، رياضة، سينما، مسرح، أدب، فن تشكيلي، وكل ما يمكن أن يخطرَ على البال».

عزيز كارس ناشط سياسي شاب من روَّاد الصالون يقول هو الآخر: «صالون حسن حليمة يعني لي الكثير، يعني لي العشق للفكر والتطور، يعني لي حالةً ثقافيَّة متنوِّعَة ونادرة، صالون حسن حليمة اعتبره أهمّ اختراع لا بل يفوق أهميته مواقع التواصل الاجتماعي، صالون حسن حليمة يعتبر صالون الإرشاد والتوجيه والمناقشة والبناء».

غادر مثقفو المدينة إلى المنافي رغماً عنهم، ولا زالت الذكريات تعصف بهم لينشروا صورَهُم التي بقيت في ذاكرتهم عبر صفحات التواصل الاجتماعي، وليسألوا بدايةً وقبلَ كلّ شيء عن حال الصالون وحال الحَّلاق الشاعر حسن حليمة، كما لا زالَ هناك من آثرَ أن يبقى في المدينة التي لم تطلها نيران الحرب في سوريا سوى من ناحية الفقر والوضع المعاشي المزري، ليبقوا هنا مستمرّينَ في تحليل الوضع، يتناقشونَ فيما بينهم كأنَّهَم في عالَمٍ مُغايرٍ، يقول ميرآل كيلو (مصور فوتوغرافي): «إن صالون حسن حليمة هو ملجأي، فهذا المكان يشعرني بالولوج إلى رحم أمي كلَّما دخلته»، يتابع كيلو: «الصالون يعتبر مركز ثقافي حاضنٌ، فقط لو كانت مساحتهُ أكبر قليلاً كنَّا سنستغلُّه بشكلٍ جيِّد لنعرض فيه أفلاماً سينمائيَّة عوضاً عن نقاشاتنَا السينمائية في الصالون، وكنَّا سنقيم أمسيات شعريَّة نقرأ فيها نتاجَات الشعراء أبناء هذا الصالون وأصدقائه، ومن وجهة نظري هو أبعد بكثير من أن يُكنى بصالون، وفي كلِّ مرَّة أرى فيها حسن حليمة منهمكاً في حلاقة زبون ما، أشعر وكأنَّهُ يكتبُ قصيدَة، لأن حسن حليمة يكتب في اليوم الواحد مئات القصائد من خلال عمله»!!.

يتحوَّلُ الصالون بسحر ما خفيّ في كل لحظة إلى نادٍ للسينما يتبادَل فيه الجالسون أسماءَ الأفلام السينمائية وانطباعات عن المخرجين وأبطال التمثيل، ومن ثمَّ إلى حلبَة لمناقشة المباريات الرياضيَّة، ثم وبحركة ما يشغل أحد الجالسين جهازَ التلفاز ليظهَر خبَرٌ سياسيّ فينتقل الجميع إلى مناقشة الخبر. يدفعُ أحد المجانين في ذات اللحظة باب الصالون ويدخُل ليتَّجه الجالسونَ إليه، وتبدأ رحلة الضَّحك، يشعر أحدهم بالجوع ليغادر للحظات عائدًا ومعه أرغفة خبز (ساخنة يطلَقُ عليها الناس الرغيفَ المدعومَ)، ليعَدّ هو بنفسه شايًا ساخنًا، لتعودُ النقاشاتُ إلى احتدامِهَا.

يقول حسن حليمة بعدَ أن هاجرَ أصدقائه القدامى خارجَ المكان: «لن أغادرَ الذكريات، سأبقى هاهُنَا ألوكُ العتمَةَ مع أصدقائي الأشباح»!!!.

الزواج في ظلّ الأزمة: الظروف والعوائق

كمال أوسكان

يجلس «محمود» إلى جانب عروسه «جين» في حفلة عرسه بإحدى القرى في ريف مدينة الدرباسية، تقتصر مظاهر الفرح على حضور الأهل والأقارب في حفل صغير أقرب إلى عيد الميلاد، يقول محمود: «انتظرنا كثيراً لعل الأزمة تنتهي، لكن يبدو أنها ستطول لسنوات، والعمر لا ينتظر، فقررنا أن نتزوج بحفلة بسيطة تجمع الأهل فقط، خاصة أن الظروف الاقتصادية أصبحت صعبة».

الأزمة التي تمر بها سوريا منذ ما يقارب ثلاث سنوات ألقت بظلالها على الحياة الاجتماعية، وزواج الشباب، وغيرت من نمط تفكيرهم، والطقوس الاجتماعية التي اعتادوا عليها، فما كان مطلوباً من الشاب حتى يتقدم لخطبة شريكة العمر في الأمس أصبح اليوم ضرباً من الخيال، ولم يعد البيت والسيارة والذهب ضمن قائمة أحلام الفتاة كما في السابق.

منطقة الجزيرة ليست استثناءً، إذ أنها تمر بنفس الظروف، وتعيش نفس المأساة، بالإضافة إلى الواقع الاقتصادي الصعب الذي تمر فيه المنطقة، كونها كانت من المناطق المهمشة التي تفتقد إلى البنية التحتية، وتشكو انعدام فرص العمل للشباب.

يرى البعض، أن الصراع في سوريا سهّل من شروط الزواج، وأنّها فرصة يجب على الشباب استغلالها لتحقيق الاستقرار والزواج، فيما يقول آخرون، أنه قضى على الكثير من العلاقات العاطفية، وفتح الأبواب أمام خيارات أخرى بديلة عن فكرة الزواج، مثل السفر والاستقرار في بلدان المهجر هرباً من جحيم الأزمة السورية.

يتردد الشباب في منطقة الجزيرة في الإقدام على الزواج، نتيجة لما تمر به سوريا من أزمة خلفت تبعات اقتصادية واجتماعية أكثر من ذي قبل، وإن بدأت غالبية العائلات بتقديم التسهيلات، في محاولة لتخفيف أعباء الزواج عن الشباب تشجيعاً لهم، ليجد فيها بعضهم الفرصة، في حين لا تُقنع هذه التسهيلات شبان آخرين أو تثنيهم عن فكرة

الهجرة بدلاً من الزواج.

المستقبل مجهول فيما يخص انتهاء الأزمة في سوريا، واستحقاقٌ صعب، وتحدٍ كبيرٍ ينتظر معظم الشباب، والجميع ليس مستعداً لتحمل هذه المسؤولية، لا سيّما في ظلّ الظروف الأمنية والاقتصادية التي تزداد صعوبة يوماً بعد آخر، لا يستطيع معظم السوريين تأمين احتياجاتهم الأساسية لكي يفكروا أصلاً في تكوين أسرة قد يكون مصيرها فيما بعد، النزوح أو الهجرة تحت وطأة غياب فرص العمل.

تحديات الزواج في منطقة الجزيرة

بسبب الوضع الاقتصادي الهش في منطقة الجزيرة بشكلٍ خاص بعد الأزمة السورية، يفتقد معظم الشبابُ إلى القدرة على تأمين السكن والمستلزمات الأخرى اللازمة للزواج، ويتردد الكثير من هؤلاء في الإقدام على الزواج، غير أن ذلك لم يثنِ «نوبار» ٢٤ عاماً، عن الإقدام على هذه الخطوة والزواج من الفتاة التي أحبها في الجامعة منذ سنتين، والعيش مع أهله في إحدى الغرف الأربعة التي يتكون منها بيت العائلة. يقول نوبار: «صحيح أن السكن مع الأهل في نفس المنزل صعب، وقد يجلب العديد من المشاكل الأسرية، إلا أنه الحل الوحيد في هذه الظروف الصعبة».

لكن ليس السكن وحده ما يعيق مسألة زواج

الشباب أو تأخره، وإن كان يلعب دوراً مهماً في ذلك، إلى جانب التغيرات التي أصابت الواقع الاقتصادي نتيجة الأزمة، حيث فقد آلاف الشباب فرص عملهم وباتوا من العاطلين عن العمل، الأمر الذي دفع نسبة كبيرة منهم للعزوف عن الزواج أو التردد في اتخاذ قرار الإقدام على الارتباط، يقول «جوان» (الاسم مستعار)؛ ٣١ سنة خريج جامعي من مدينة قامشلو: «تكاليف ومصاريف الزواج في منطقة الجزيرة كانت كبيرة جداً قبل الأزمة، ولم يكن لدى الشباب القدرة على توفيرها من دون مساعدة الأهل، واليوم ازدادت الأمور تعقيداً، زد على ذلك أن أغلب الشباب بات يفكر بالسفر أكثر من الزواج».

الخيار بين الزواج والسفر

يبدو أن التفكير بالسفر طاغ أكثر على المتعلمين وخريجي الجامعات، إذ ثمّة هُناك علاقة سلبية بين الشهادة العلمية والزواج، فكلما زادت الدرجة العلمية، قلّ الإقبال على الزواج لدى الجنسين.

لوحات زهير حسيب

يحدث نوع من المقارنة بين السفر والزواج لدى شريحة كبيرة من الشباب، ويرى البعض؛ أنّ السفر إلى أوربا أسهل بكثير من الزواج، كما يصف «جوان» ذلك تعليقاً على قصة أحد أصدقائه والذي قرر السفر إلى أوربا بعد أن جمع بعض المال من عمله في إقليم كردستان العراق، عاد ليقدم على خطبة فتاة بعد أن اتفق الأهل وقرأوا الفاتحة، بدون حفلة.

يقول جوان: «بدل أن يصرف صديقي الأموال التي جمعها على الزواج قرر أن يسافر بها إلى أوربا، ومن ثم يرسل في طلب خطيبته بعد أن تستقر أوضاعه هناك، وبذلك يضرب عصفورين بحجر واحد، لكن قد يستغرق ذلك فترة ستة أشهر أو أكثر، ويضيف ممازحاً: «هذا إذا لم يغرقوا في البحر كما حدث مع العديد من المهاجرين».

إلا أن الأكثر تأثيراً على قرارات الزواج لدى الشباب لا يزال العامل الاقتصادي، وما يتطلبه الزواج من تكاليف وتحضيرات لحفلة العرس، التي باتت ترهق الميزانيات الصغيرة للشباب المقبلين على الزواج في ظل الظروف الراهنة التي أصبحت توازي ثلاثة أضعاف التكلفة في ظروف الاستقرار، والتي تتراوح ما بين ١٥٠- ٢٠٠ ألف ليرة تتضمن استئجار صالة أفراح بحدود ٤٠ ألف، وفرقة موسيقية وتكلف هي الأخرى حوالي ٣٥ ألف، بالإضافة إلى الضيافة التي تتراوح ما بين ٧٠- ٨٠ ألف تقريباً، أما إذا أراد الأهل تقديم الطعام فذلك يضاعف التكاليف.

الأزمة شكلت فرصة مناسبة للزواج

شريحة لا يستهان بها من الشباب ترى بأن الأزمة سهّلت الكثير من شروط الزواج، كالتساهل من قبل أهل الفتاة في الشروط والمتطلبات التي كانت ترهق الشباب المقبل على الزواج، والتي كانت تتمثل في المهر والسكن الخاص، بالإضافة إلى كافة التجهزات التي تطلبها أية عائلة، لتعيدها الظروف الراهنة إلى فهم واقع الشباب والقبول بالحد الأدنى من المتطلبات، ابتداءً بالاكتفاء بخواتم الزواج فقط، وانتهاءً بقبول سكن ابنتهم مع أهل زوجها. وإقامة حفلة صغيرة في منزل العائلة، وهذا ما دفع بالكثير من الشباب للزواج واستغلال الفرصة بتحقيق ما كان يصعب تحقيقه في أوقات الاستقرار.

يقول «زرادشت» ٢٧ سنة: «معظم الشباب اليوم يسافرون إلى تركيا أو إقليم كردستان العراق للعمل لعدة أشهر وجمع بعض المال، ومن ثم يعودون من أجل الزواج، خاصة المخطوبين، فهي أفضل فرصة

لهم، إذ أن غالبية هؤلاء الشباب يسافرون برفقة زوجاتهم إلى نفس المكان الذي كانوا يعملون فيه، دون أن يتكلفوا بشراء الأثاث، إنما تقتصر مصاريفهم على حفلة العرس، أما بالنسبة للمهر بات الأهل يقدمون تسهيلات حتى في هذا الجانب، بحيث يتم شراء بعض الملابس للعروس أو تمنح قيمة المهر وهي بحدود ١٥٠ ألف للعروسين من أجل تدبير أمورهم المعيشية في الغربة بعد الزواج.

الإقبال على الزواج وتبدل العادات

ارتفعت نسبة الإقبال على الزواج في منطقة الجزيرة أكثر من ذي قبل، نتيجة التسهيلات التي يقدمها الأهل للشباب، تعود التغيرات في ذهنية الأهل ونظرتهم لمسألة زواج بناتهم وتقديم التسهيلات، إلى الظروف التي تمر بها المنطقة، وهجرة معظم الشباب للعمل في تركيا وإقليم كردستان العراق، مما أحدث نوعاً من الفجوة بين نسبة الذكور والإناث، يقول زرداشت ٢٧ عاماً من مدينة الحسكة: «نسبة الإناث أصبحت مرتفعة جداً قياساً لنسبة الشباب في المنطقة، ويمكنك أن تلاحظ ذلك في حفلات الأعراس، حيث أن الأغلبية الساحقة هي للإناث». وهذا دفع الكثير من العائلات إلى القبول بأول متقدم لخطبة بناتهم، دون الاكتراث بالمهر أو السؤال عن عمل الشاب، وإمكانية توفير

لوحة زهير حسيب

السكن، وذلك خشية عنوسة بناتهم، يضاف إلى ذلك بروز ظاهرة الطلاق التي بات شبحها يلوح في الآفاق، والتي تعود في غالبيتها إلى صعوبات اقتصادية.

واقع الحال وفق الاحصائيات

المحامية «وفاء شيخموس» وهي متخصصة في حالات الطلاق والزواج في قامشلو تقول: «ليس لدي معلومات دقيقة عن الإحصاءات الرسمية في المحافظة لهذا العام عن نسبة حالات الزواج والطلاق، لكن هذه النسبة لا تختلف عن العام الفائت، فالظروف متشابهة كثيراً بين العامين». وتضيف: «كل حالة طلاق واحدة يقابلها ما يقارب الثلاث إلى الخمس حالات زواج»، وعن حالات الطلاق التي تقع توضح المحامية وفاء: «إن الكثير من حالات الطلاق التي أتابعها تكون لأمور تافهة، قد تكون الظروف المعيشية سبباً رئيسياً فيها، وقلة الوعي لدى الزوجين يساهم في تأجيج الخلافات».

بالعودة إلى الأرقام الرسمية العامة في سوريا، أكدت الإحصاءات الصادرة عن المحاكم الشرعية خلال الأشهر العشر الأخيرة من عمر الأزمة زيادة معدلات الطلاق عما كانت عليه بمعدل ٤٠٪، معلنة ارتفاعها إلى عتبة ٥٥٪، أما في محافظة الحسكة عام٢٠١٢ فقد سجلت ٢٠٨ حالات طلاق وفي ٢٠١٣ سجل النصف الأول فقط ٧٧ حالة، وعن نسبة التزايد في حالات الطلاق في محافظة الحسكة كما أخبرنا بذلك موظف المحكمة بمدينة قامشلو إلى حدود ٩٠٪. وقالت المحامية وفاء: «إن هذه النسبة مغلوطة بالتأكيد، وبحسب توقعاتي فإنها لن تتجاوز الـ ٥٠٪»، وإضافة إلى ذلك هناك حالات زواج تعقد في بلدية قامشلو الآن، وهي قليلة جداً، لأن الزوجين مضطرين لتثبيت زواجهم لدى المحكمة الشرعية لضمان الحصول على أوراقهم الثبوتية.

هكذا تبقى الأسباب الاقتصادية والاستقرار الأمني والنفسي، من أهم الأمور اللازم توافرها لنجاح الزواج والاستقرار، غير أن حلم الزواج والاستقرار لدى «نوبار ومحمود» كان أكبر من التغيرات وتقلبات الواقع، وسيبقى هذا الحلم يُراود الشباب لأن الحياة لا تتوقف عند حدود الأزمات والتقلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أي بلد، ويبقى الأمل موجوداً دائماً رغم الظروف والحرب.

فعاليات مدنية

أقامت منظمة "me & you" للتنمية في عامودا، ست ورشات تدريبية عن التربية المدنية للأطفال، استفاد منها ١٦٠ طفل ممن تتراوح أعمارهم بين «٧ - ١٢» سنة، لخلق فسحة أمل صغيرة للأطفال، من خلال المشاركة في ألعاب هادفة، وتعلم الرسم على الورق والقماش، إضافة للعروض المرئية. أنجزت الورش في عدة مراكز بمدينة عامودا منها «مركز كولوشينا للمرأة، مركز نوروز للمجتمع المدني، جمعية نوجيان لذوي الاحتياجات الخاصة»، والتي استمرت على مدار شهر آذار ٢٠١٤.

أقام مكتب سري كانيه (رأس العين) لمركز التآخي «Biratî» للديمقراطية والمجتمع المدني وبمشاركة تجمع محامي سري كانيه كشريك منفذ لحملة التسامح، ندوة حوارية باسم (سري كانيه – رأس العين مدينة التسامح) في إطار حملة «تسامحوا ليعم السلام»، شارك فيها ١٩ شاب مِن كافة مكونات المدينة.

أقامت منظمة حقوق الإنسان في سوريا «ماف» في الفترة من «١٠– ١٥» نيسان، في صالة المنظمة الآثورية الديمقراطية بمدينة قامشلو، ورشة عملٍ تحت عنوان «نحو مجتمعٍ آمن متعايش بسلام»، ضمت الورشة ٢٠ ناشطاً وناشطة تم اختيارهم وفقاً للمعايير التي ارتأت المنظمة أن تكون شاملة لكل مكونات المدينة.

استضاف مركز جمعية سوبارتو في مدينة قامشلو بتاريخ ١٦-٠٤-٢٠١٤، محاضرة لجمعية «آسو» الخاصة بمناهضة العنف ضد المرأة بعنوان: «العاملات في القطاع الخاص؛ الممرضات أنموذجاً».

تحت إشراف المدربتين دنيا فواز وهندرين هندي من مركز المجتمع المدني والديمقراطية، أقيمت ورشة في «القيادة المدنية» بمكتب المركز في مدينة قامشلو لأعضاء في حركة الشباب الكورد.

افتتحت كل من جمعية شاوشكا ومركز التآخي، مركزاً لتعليم النساء الخياطة والتطريز في إطار الجهود الرامية لتمكين المرأة، وإعدادها للعمل مستقبلاً.

ŞAR | Qamişlo

Rodî Se,îd | Serê Kaniyê

شار | تل بيدر الأثري

شار | عين ديوار